

أبو الحسن علي الحسيني السدي

القرن الخامس عشر للهجرة النبوية

في ضوء التاريخ والواقع

- دراسة عميقة للتاريخ • استعراض أمين للواقع
- ومنهج شامل للعمل الاسلامي

ملتزم النشر و التوزيع

المجمع الاسلامي العلمي (ندوة العلماء

لكهنؤ (الهند)

من مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى

رقم ١٤٤

١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م

طبع فى
مطابع الرشيد
المدنية المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المحاضرة

طلب من سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسنى الندوى
أن يفتح مناسبة أسبوع مطلع القرن الخامس عشر الهجرى
الجديد ، التى نظمها « المنظمة الاسلامية للطلاب » (S.I.O.M)
فى لكهنؤ (الهند) ، فى قاعة المحاضرات الكبرى فى المدينة ،
و ذلك فى ٢٢ من ذى الحجة سنة ١٤٠٠ هـ (المصادف ١
من نوفمبر سنة ١٩٨٠ م) ، فالتقى سماحته فى هذه المناسبة
التاريخية الكبيرة كلمة مستفيضة ارتجلها بوحى من المناسبة
المباركة ، و أفاض فى بيان الحقائق التاريخية ، واستعراض
لوقائع بعض القرون الاسلامية الماضية ، و أحداثها التى
غيرت مجرى التاريخ ، و هى تحمل عبرة و درساً للعاملين
و المفكرين ، و المخططين للعمل الاسلامى ، و الدعوة

الاسلامية في هذا العصر ، و عرض صورة واضحة صادقة
للقرون الرابع عشر الهجرى الذى كان يلفظ أنفاسه الأخيرة ،
يحاسب المسلمون في ضوئها أنفسهم ، و يقارنون بين أرباحهم
و خسائرهم ، و أخطائهم ، و إصابتهم ، ثم انتقل إلى
الحديث عن القرن الخامس عشر الهجرى الذى كان على
الباب ، و ما يتطلب من استعداد و عزم ، و مواجهة
للحقائق ، و معالجة حكيمة للقضايا ، و سموهمة لقيادة رشيدة
جديدة للعالم ، نابعة من الرسالة و التعاليم السماوية التى جاء
بها محمد ﷺ آخر الرسل ، وهاجر فى سبيلها ، فكان تاريخاً
جديداً للبشرية ، و تقويماً جديداً فى العالم .

و سجلت الكلمة ، و نقلت من الشريط و تناولها
صاحب الكلمة بتنقيح و تهذيب ، و زيادة ذات قيمة فأصبحت
رسالة مهمة ، و هدية ثمينة للقرن الخامس عشر الهجرى ،
و وثيقة تاريخية جامت فيها عصارة دراسات عميقة ، و تجارب
عملية طويلة ، و قد قام الأستاذ سعيد الأعظمى الندوى ،
رئيس تحرير مجلة « البعث الإسلامى » بنقلها إلى العربية .

وإلى القراء المحاضرة القيمة ، هدية من « المجمع الاسلامى
العلمى » بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجرى .

محمد الرابع الحسنى الندوى

أمين « المجمع الاسلامى العلمى »

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

غرة ربيع الاول سنة ١٤٠١ هـ





القرن الخامس عشر الهجرى الجديد

فى ضوء التاريخ و الواقع

قال المحاضر بعد الحمد و الصلاة :

أصبح الحديث عن القرن الخامس عشر الهجرى حديث النوادى والمحافل ، وشغل الناس الشاغل ، و شغلت المعنيين بمحاضر المسلمين و مستقبلهم ، تنبؤات و تكهنات ، و تمنيات وتطلعات ، و يجب علينا أن نكون جادين واقعيين ، قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسنا و على أمتنا ، و أن نعتبر بالماضى و نأخذ حذرنا للمستقبل .

و لا يخفى أن التقويم الاسلامى - والقرن الخامس

عشر جزء منه - يبتدىء من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، حين يبتدىء التقاويم الأخرى ، بوجه عام ، بميلاد شخصية كبيرة ،

أو وفاتها ، أو قيام دولة ، أو تحقق انتصارات عظيمة في التاريخ (١) ، وكانت مصدر تقويم مستقل ، ولكن الاسلام يتميز عن الديانات الأخرى في ذلك ، فلم يسم دينه باسم نبيه ، ولكن باسم رسالته ، إذ أن الاسلام ليس اسماً لشخصية ، إنما هو اسم لمنهج و حكم إلهي ، يعنى الخضوع أمام أحكام الله ، و تلك هى ميزة هذا القرن ، فإنه لم يتبدى بوجود شخصية ، حتى إنه لم يبدأ بشخصية

(١) مثلاً التقويم المسيحى الذى يسود العالم كله ينتمى إلى سيدنا المسيح عليه الصلاة و السلام ، و التقويم البكرى الذى ساد الهند ينتمى إلى الملك « بكرماجيت » و فى إيران ولدى الزردشت عرف تقويم —ان وكلاهما ينتميان إلى يزدرجرد الثالث ، أحدهما يتبدى بتاريخ جلوسه على العرش ، و الثانى يتبدى بوفاته و كذلك التقويم الغريغورى ينتمى إلى البابا غرى غورى الثالث عشر الذى يسود فى أوربا كلها منذ عام ١٥٨٢ م (باستثناء الاتحاد السوفياتى واليونان) .

سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت ولا تزال أحب
شخصية إلى المسلمين بعد الله تعالى ، و لكن هذا التقويم
للعلاقة له بولادته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا بوفاته ،
رغم أنهما حدثان كبيران في هذا العالم ، و لكنه يتصل
بهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

و معنى ذلك أن القرن الهجرى الجديد سيطلع علينا
برسالة و دعوة ، و أنه لا يجدد ذكرى شخصية أو أمة
لحسب ، بل يجدد ذكرى رسالة ، و هى أن النبي ﷺ هاجر
من وطنه العزيز إلى موطن جديد وراء غاية عظيمة . إن هذه
الهجرة تذكرنا برسالة سامية و باقدام كبير ، لأن النبي ﷺ
لم يقم بها لاتخاذ نفسه أو أصحابه المعدودين ، و لكنه قام
للحفاظ على الرسالة التى أكرم بها و لاتاحة الفرصة لتبليغها إلى
العالم كله ، إن هذا القرن يذكرنا بما للغاية الكريمة ، والهدف
العظيم من أهمية و قيمة ، تسهل على المرء أن يضع فى سبيلها
بكل نفيس و غال ، إنها رسالة خالدة ذات روح عالية فى
تاريخ العالم كله ، تؤكد أن أمراً مهما كان نادراً و غريباً ،

و مهما وضع في طريقه من عراقيل ، و أثر حوله من
التعق ، إذا كان نابعاً من إخلاص النية ، و كان القصد من
ورائه إسعاد الانسانية مع تصميم العزم ، فانه يسطع ضوؤه
و ينقشع عنه الضباب ، و يتكلل بالنجاح عاقبة الأمر .

لذلك فان هذا القرن الخامس عشر الهجري لا يبعث
همة المسلمين فحسب ، بل إنه يوجه رسالة ثقة و تفاؤل إلى
النوع البشرى كله ، و إلى جميع من يتوخون غاية صالحة ،
و يحملون راية دعوة نافعة ، و يبذلون مجهودات في سبيل
هدف أفضل أو غاية عظيمة ، فيحثهم على مواصلة الجهود ،
و يشرهم بنجاح تحار فيه الآلآب .

أما أن يكون هذا القرن الجديد سعيداً للمسلمين ،
و عن طريقهم للانسانية كلها ، أو أن يكون مشئوماً ؟
فذلك أمر لا يمكن أن تصدر عليه حكماً الآن ، فمن قضاء
الله تعالى و حقائق القرآن الأبدية التي لا تتغير هو أهمية
السعي الانساني وتأثيره ، فقد قال الله تعالى : « و أن ليس

للانسان إلا ما سعى ، (١) إن الانسان فى حياته الدنيا
و فى آخرته لا يدرك أكثر مما يسعى ، إنما يدرك ما أبتج
له سعيه كما يقول الله تعالى : « وأن سعيه سوف يرى » (٢)
إنها رسالة خالدة للنوع البشرى كله و لجميع أدوار التاريخ ،
إن سعى الانسان لا يخلو من نتائجها التى يراها « ثم يحجزها
الجزء الأوفى » (٣) .

إن هذه الآية الكريمة رسالة تحمل فى طيها معانى كريمة
من الهممة العالية و الروح الفياضة ، و إذا كان الشاعر
الاسلامى محمد إقبال خاطب الانسان فى بيته الذى معناه :
« إن حياتك أيها الانسان إنما هى رهين عملك ، فاما إلى
الجنة أو إلى النار ، فانك بفطرتك لست من أهل النار
و لا من أهل النار » فاننى أنشد هذا البيت و أخاطب به
القرن الجديد ، فان هذا القرن - و ما سبقه من قرون -
ليس فى طبيعته سعيداً و لا مشئوماً فى الواقع ، فان السعادة

(١) سورة النجم ٣٩ . (٢) أيضاً ٤٠ .

(٣) أيضاً ٤١ .

و الشقاء إنما يتوقفان على مساعي الانسان و اتجاه أعماله ،
و نحن لا نستطيع أن نحكم مسبقاً لآى قرن أو سنة
أو شهر و يوم و ساعة أن فيه سعادة أو شؤما ، ليس
فى الاسلام نظرية الشقاء أو السعداء _____ اداة التى
كانت و لا تزال توجد لدى أمم جاهلية ظلت بعيدة عن
تعاليم الأنبياء عليهم السلام ، لا يسمح لنا الاسلام بأن نحكم
على قرن قادم بأنه سعيد جداً ، تسعد فيه الأمة الاسلامية
كل السعادة ، أو أن هذا القرن مشؤم للأمة أو للأقدار
الانسانية ، إنه ليس تفكيراً إسلامياً ، و لا يؤيده الكتاب
و السنة ، ذلك لأن التصور عن زمن خاص أنه سعيد
ميمون بوجه دائم ، أو باعث على الشؤم و الشقاء ، يجنى على
الارادة الانسانية و صلاحيته للعمل و طاقاته ، إن الانسان
إذا اعتقد أن هناك ساعة مشؤمة تستقبله قريباً بامت قوته
العملية بالانهيار ، وتعطلت قوة حكمه ، و قدرة صموده بتأناً .
إن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قضى نهائياً
على التعلق بالأوهام و المغالاة فى الاعتقاد بشئ ، و الإعجاب
بشخصية ، انكسفت الشمس ذات مرة فى عهد صلى الله
عليه و آله وسلم و صادف ذلك وفاة سيدنا إبراهيم بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل (١) ، و كان الله سبحانه قد أراد في ذلك تربية الأمة ، لأن العرب المسلمين آنذاك كانوا قريبي العهد بالجاهلية ، و لم يكن العالم قد تخلص من تأثيرها تماماً ، ثم إن حادث الوفاة كان أمراً غير عادي أثار العواطف ، فتكلم بعض المسلمين وقالوا: كيف لا تنكشف الشمس و قد توفي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و لو كان مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المناسبة الحزينة أى داع من الدعاة ، أوزعيم من الزعماء ، أو قائد دعوة و حركة و جماعة ، لسكت على هذا الكلام ، إذا لم يوفق إلى نفيه ، ظناً منه أن ذلك الكلام إنما هو في صالح دعوته و حركته ، و ظن أنه لم يسترع الانتباه إلى هذه الناحية ، بل إن الناس بأنفسهم فكروا في ذلك و قالوا إن الشمس إنما انكسفت لوفاة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذن فهو ليس مكلفاً بنفى هذا

(١) توفي سيدنا إبراهيم عليه السلام عام ١٠ من الهجرة و كان ابن سنة و نصف .

التفكير ، و ذلك هو الفرق بعينه بين النبي و غيره ، فان
الأحداث التي يستغلها أصحاب التفكير السياسي - و إن كانت
حوادث طبيعية - يرى الأنبياء الكرام عليه السلام استغلالها
على حساب الدين حراماً ، وأمرأ يرادف الكفر ، ولا أدري
أن أحداً سوى محمد صلى الله عليه و آله وسلم يكون قد
صدق في هذا الامتحان من غير الأنبياء ، و من مؤسسي
الجماعات وزعماء السياسة .

و هنالك قام رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم
خطيباً في القوم فقال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات
الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته » (١) كأن النبي صلى
الله عليه و آله وسلم سألهما عما ذا قالوا ؟ ثم رد عليهم
بأن الشمس والقمر لا يتغيران لموت أحد من الناس
ولا لحياته ، إنما هما آيتان من آيات الله ، و متقيدان
بقانون يخصصهما ، لا يؤثر عليهما موت و لا حياة ، و لو
أن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أثر السكوت في
هذه المناسبة ، لم يك ذلك سبباً لفساد ، بل إن ظناً خاطئاً

(١) صحيح مسلم ، كتاب الكسوف ج ١ / ٢٩٦ .

كان قد وجد سبيلاً إلى قلوب الناس بنساءً على الحب
و الإعجاب بشخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،
و بحكم الاضطرار ، ولكن لم يتحملة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم و سرعان ما نفاه و قال : كلا ، إن ذلك
الحادث لا علاقة له بأسرقى أو بولدى ، فان الكون أوسع
من ذلك ، و إن ذات الله تعالى أغنى عن ذلك ، و قانونه
أسمى من مثل هذه الأمور ، لقد كان ذلك إرشاداً مبدئياً
يتعلق بالأساس ، وجه إلى النوع البشرى كله ، بل العقل
الانسانى كله ، فان العقل الانسانى أهم من النوع الانسانى ،
وإنه يحكم النوع الانسانى ، وليس بالعكس ، لقد كان ذلك
انحرافاً للعقل الانسانى خطيراً ، و كان لا بد من وضع
الحد عليه .

كنت أتحدث وأقول : إن قرناً من القرون ليس سعيداً
بذاته و لا مشئوماً ، و أضرب لكم مثالا للكأس ، إنها
إذا كانت فارغة لا نحكم عليها بشئ ، إن ذلك يتوقف على
ما فيها من مظروف ، فان كانت فيها خمر - أعاذ الله منها - كانت

الكأس كأس الخمر ، أو كان فيها سم . دعيت بكأس السم ، وإن كان فيها ماء زلال ، أو لبن سائغ ، أو عسل مصفى ، دعيت به و نسبت إليه ، و أما الكأس بذاتها فهي بريئة و شئ حيادى ، و الأمر إنما يتوقف على ما تملأ به الكأس ، فان ملأها أحد بالزمرم فهي كأس الزمرم ، و إن ملأها بالخمر فهي كأس الخمر ، وهنا نستطيع أن نقول ، إن سعادة أو شقاء هذا القرن إنما يتوقف على سعى الأمة التى أخرجها الله تعالى لحل رسالته الأخيرة .

وبالمناسبة أضرب لكم ثلاثة أمثال ، مثال منها لقرن ابتداء بأحداث هائلة مخيفة ، و أوضاع قائمة عابسة ، تبعث على اليأس ، و تقطع الآمال ، وقد استقبله مؤرخو ذلك العهد بشئ كثير من القلق و الحزن ، و بالجروح و الدموع ، و قد شهد المؤرخان ابن الأثير و ابن كثير ، كيف أن الأوساط الإسلامية استقبلت القرن السابع الهجرى ، فقد كانت الدلائل و المؤشرات كلها تشير إلى أن ذلك القرن ليس فى مصلحة المسلمين ، ولا فى مصلحة الأمة الإسلامية ،

و لا فى مصلحة الاسلام ، و سيكون أشام قرن فى حق
الانسانية كلها ، فقد كان هذا القرن استهل بحادث غير عادى
كما يقول المؤرخ ابن الأثير الجزرى (المتوفى ٦٣٨ هـ) ، فلو
قال قاتل إن العالم منذ أن خلق الله سبحانه و تعالى آدم
إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فان التواريخ لم تتضمن
ما يقاربها و لا ما يدانيها ، (١) .

و أعنى بذلك زحف التتار الذى تم فى عام ٦١٦ هـ
على أكبر مملكة إسلامية فى ذلك الوقت ، و هى مملكة
خوارزم شاه ، كان ذلك فى مبدأ القرن السابع الهجرى ،
و فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد نهض التتار كجراد
منتشر ، و اكتسحوا العالم الإسلامى كله ، و دمروا تركستان
و إيران ، و أتوا على المدن الكبيرة بأسرها و أبادوها ،
حتى إنهم رفعوا مناور عالية من رؤس القتلى و جثثها ،
و صعدوا عليها ، و أعلنوا فتحهم و انتصارهم ، و تحولت
المدن إلى مقابر ، و لكى نقدر هول الحادث يحسن بنا

(١) الكامل لابن الأثير ١٢ - ١٤٧ .

أن نقرأ ما كتبه « إيدورد جبون » في كتابه (سقوط
وانحطاط رومة (Decline and fall of the roman empire)
« حينما اطلع سكان السويد على الزحف التتاري عن
طريق روسيا ، تسلط عليهم من الذعر والخوف ما منعهم
من الخروج لصيد الاسماك كعادتهم ، إلى سواحل انجلترا (١) ،
تصوروا موقع السويد الجغرافي وسواحل انجلترا من
المنطقة التي زحف إليها التتار ، إن صيادي الاسماك في السويد
الذين كانوا يمارسون مهنة صيد السمك قد بلغ منهم الخوف
إلى حد تركوا فيه مهنتهم ، ولم يتمكن مؤلفو كتاب « تاريخ
العهد المتوسط » الصادر من جامعة كيمبردج من تصوير
هول الحادث والتعبير عنه سوى أن قالوا : « إن السماء وقعت
على الأرض فدمرت كل ما فيها » (٢)

هذا نموذج تعليقات المؤلفين الغربيين على الحادث
وانطباعاتهم ، الذين لم يتأثروا كثيراً بهذا الحادث ، ولم يكونوا

(١) جبون ص ١٦

(٢) من كتاب « جنكيز خان » لمؤلفه (هيرلدليمب)

هـدف المـجـمـات التـاريـة بطـريق مـباشر ، و لكـى نـعرف
مـدى تـأثـر المـسـلـمـين بـهـذا الحـادـث و نـظـرتـهم إـلـيـه ، يـجـب أن
تـذكـر المـثـل السـائـر فـي ذـلك العـمـد الـذـى جـاء فـيـه « إذا قـيل
لـك إن التـر أنـهـزموا فلا تـصـدق » إن المـسـلـمـين الـذـين لم
يـكـونوا يـعـرفـون لـغـة الـيـأس والقنـوط ، وأمـرهم القرآن فـقال :
« لا تـقـطـوا من رـحـمة الله » (١) و الـذـين كانوا يـقـرأون
فـي القرآن : « إنـه لا يـيـأس من رـوح الله إلا القوم
الـكـافـرون » (٢) اسـتـولى عـلـيـهم الـيـأس ، و تـقرر عـندهم أن
التـر لا يـنـهـزموـن .

مـؤـلـاء التـار إنـما خـرجوا من حـصـارهم القـديـم من أجـل
خـطأ سـياسـى صـدر من خـوارزم شـاه ، يـطـلع عـلـيـه من دـرس
تـاريـخـه ، و قد اسـتـهـدف المـسـلـمـون لـحـفـهم فـدمـر التـار تركـسـتان
وإـمـيران و آتـوا عـلـيـها بـجـمـيع ما فـيـها من تـراث عـلى و حـضـارى ،
و فـي تـلك الفـتـرة الحـالـكة لجأ كـثـير من أبـناء البـيـوتـات الشـريـفة ،
العـريـقة فـي الدـين و العـلم ، و كـبار العـلمـاء ، و أئـمة الفـنون ،

(١) الزمر ٥٣ . (٢) يوسف ٨٧

و أصحاب البقرية من المسلمين ، وانجھوا إلى الهند التي كان
يحكمها الملوك الأقوياء المسلمون من السلالة التركية ، كان ذلك
في القرن السابع الهجري و القرن الثالث عشر الميلادي ،
و قد حاول الأستاذ « آرنولد » الانجليزى فى كتابه :
الدعوة إلى الاسلام (Preching of Islam) أن يھور
الجو الرھيب من اليأس والشعور بالھزيمة ، الذى كان يعيش
فيہ المسلمون ، و كان يستطيع فى ذلك الوقت كل شخص
يتمتع بالشعور والمشاھدة وقوة الاستنتاج من ترتيب المقدمات
و الأسباب ، أن يتبأ فيعتقد أن الاسلام قد ولى عھده ،
و أوشكت شمسها على الغروب ، و لا شك فان المسلمين
ھم الذين كانوا هدف الهجمات التتارية فى الواقع ، وقد ضاق
عليھم مجال العمل والأمل معاً ، يقول « آرنولد » وهو يتحدث
عن منافسين قويين الاسلام و هما : البوذية و المسيحية .
« كانا يحاولان إحراز قصب السبق فى ذلك المضمار ،
و ليس هناك فى تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب ،
و تلك المعركة الحامية التى قامت بين البوذية و المسيحية

و الاسلام ، كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك
الفاتحين القساة ، الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك
الديانات العظيمة ذات الدعاة و المبشرين في جميع الأقطار
و الأقاليم ، إن مناهضة الاسلام لمنافسيه (الديانة البوذية
و الديانة المسيحية) و استثارة بالمغول ، وإجباط مساعي
الدعاة البوذيين والمسيحيين ، كان يترأى شبه المستحيل (١)
كل الدلائل كانت تشير إلى أن المسيحية ستنتصر ،
لأنها لم تكن الخصم المناهض في هذه الحرب ، ثم إن
المسيحيات و المسيحيين كانوا في قصور الأمراء من أبناء
جنكيز خان ، وأركان دولته ، فإذا كانت هناك قضية اعتناقهم
لدين جديد ، كانت المسيحية هي الديانة المفضلة لدى هؤلاء
الفاتحين ، لم يكن يشك أحد في اعتناقهم لها .

و لكن هل تعرفون ماذا وقع ؟ لقد اضطر آرنولد
إلى الاعتراف بالواقع ، يقول : « و لكن الاسلام فاجأ
العالم و نهض من تحت أنقاض عظمته الأولى ، و أطلال
(١) الدعوة إلى الاسلام ص ٢٥٠ .

مجده-التالد ، و استطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك
القائمين الوحوش ، الذين نثروا عليهم كنانة ظلمهم فأسلوا (١)
و يقول : « و على الرغم من جميع المصاعب أذعن
هؤلاء المغول و القاتل الوحشية آخر الأمر لدين هذه
الشعوب التي ساموها الخسف و داسوها بأقلامهم (٢) » .
إن القرن الذي بدأ بالشثوم - إذا كان في الاسلام
بجال لكلمة شثوم - القرن الذي بدأ بالظلام الشامل ،
و اليأس القاتل ، إنما تحول إلى قرن « فتح مبين » للاسلام
و بهت به العالم ، و قضى العجب بما رأى من أن التتار
الذين لم تزل أيديهم مخضوبة بدماء المسلمين ، كيف خضعوا
للاسلام ، يقول : « هورث » .

« و قد بلغ من سوء المعاملة التي لقيها هؤلاء أن
رائضى الخيل من أهل الصين ، كانوا إذا عرضوا أشباحاً
أظهروا البشر و الجور في صلف و إعجاب بعرض صورة

(١) أيضاً ص ٢٤٦ .

(٢) أيضاً ص ٢٥٨ .

تمثل رجلاً مسناً ذالِحِيَّةً يَبْضَاءُ يَجْرُهُ حِصَانٌ قَدْ رُبِطَ ذَيْلُهُ
 بِرَقَبَةِ هَذَا الرَّجُلِ ، إِنَّمَا كَانَ هَؤُلَاءُ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِيُظَاهَرُوا
 لِلنَّاسِ كَيْفَ يَتَصَرَّفُ فَرَسَانُ الْمَغُولِ فِي مَعَامِلَتِهِمُ لِلْمُسْلِمِينَ (١)
 وَ الْوَاقِعُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا كَانُوا قَدْ فَقَدُوا كُلَّ شَيْءٍ ،
 وَ لَكِنِّهِمْ لَمْ يَفْقَدُوا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ ، وَالثِّقَةَ بِهِ وَ قُوَّةَ الْعَقِيدَةِ ،
 وَ الصَّلَةَ الصَّادِقَةَ بِهِ ، وَ لِذَلِكَ فَانَ الْإِسْلَامُ لَمْ يَمْنِ بِالْهَزِيمَةِ
 إِنَّمَا مَنَى بِهَا الْمُلُوكُ الْمُسْلِمُونَ الْخَرَقَ ، وَ الْمَجْتَمَعُ الْمَرِيضُ
 الْفَاسِدُ - أَقُولُ ذَلِكَ بِصَرَاحَةٍ وَ تَأْلُمٍ - أَمَّا الْإِسْلَامُ فَقَدْ
 كَانَ سَلِيمًا ثَابِتًا فِي مَكَانِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزُرَّ فِي أَصَالَتِهِ وَقُوَّتِهِ ،
 كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ ظَنُّوا أَنَّ إِخْضَاعَ التَّارِ بِالسَّيْفِ مُسْتَحِيلٌ ،
 لِأَنَّ سَيْفَ الْإِسْلَامِ مَقْلُوبٌ بِلْ مَكْسَرٍ ، أَوْ عَائِدٌ إِلَى الْغَمْدِ ،
 وَ قَدْ أَثْبَتَ التَّارُ أَنَّ لَدَيْهِمْ قُوَّةً عَسْكَرِيَّةً أَقْوَى مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 وَأَنَّهُمْ بَعِيدُونَ عَنِ الْأَدْوَاءِ الَّتِي يَجْرُهَا الْبَذَخُ ، وَ الْحُكُومَاتُ
 الطَّوِيلَةُ الْمُسْتَبِدَّةُ ، وَ الْمَدِينَةُ الْمَصْطَنَعَةُ ، وَ إِنَّهُمْ يَمْلِكُونَ مِنْ
 قُوَّةِ التَّحْمِلِ وَ الصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَ الشَّدَائِدِ مَا كَانَ مِيزَةً

(١) تَارِيخُ الْمَغُولِ لِهَوْرَث ج ١ ص ١٥٩ .

العرب الأقوياء ، و فاتحى الاسلام فى العهد الاول ، و أنهم
لم يخرجوا من محيط الصحراء إلا بعد قرون فلا تزال
طاقهم كامنة عندهم ، لا يمكن أن تقاومها السيوف التى تحملها
الأيدي التى سرى فيها الودن و أفسدتها المدنية .

فهل تعرفون من انتصر على التتار المنتصرين على العالم
و من حجب إليهم كلمة الاسلام ؟ لقد نهض فى ذلك الوقت
العصيب ، والظلام الحالك رجال من أصحاب القلوب الصافية
الذين كانوا يتمتعون بالربانية الصادقة ، و القوة الروحية
الداقية ، أسلم على أيديهم التتار على بكرة أيهم ، فى ظرف
نصف قرن ، إن التاريخ كله يزخر بقصص إسلام الناس
أفراداً و جماعات ، و دخول المدن بأسرها فى الاسلام ،
و لكن أمثلة إسلام الناس كأمة لا تتجاوز ثلاثة أو أربعة
أمثلة فيما أعلم ، فان العرب أسلموا كأمة ، والافغان أسلموا
كأمة - و هم يعانون اليوم مع الأسف محنة من أشد المحن
التي تقرر مصير الأمم ، و تحولها من جهة إلى جهة -
و كذلك الأتراك و التتار لم يسلموا أفراداً ، إنما دخلوا فى

دين الاسلام كامة ، مائة في المائة، إنه لغز من ألغاز التاريخ
و قد واجهته أنا شخصياً كذلك ، و هو أن يتم هذا الواقع
الذى غير مجرى التاريخ ، وخلف تأثيراً عميقاً على مستقبل
العالم كله . اعنى به اسلام التتار كامة - ثم لا نجد في
التاريخ أسماء أشخاص يرجع إليهم الفضل في اسلام هذه
الامة العظيمة ؟ ما السر في ذلك ؟ .

لقد تذكرت بالمناسبة قصة جندي مسلم في فتح المدائن
عز على تاج كسرى ، فأخفاه في ثيابه - شأن المال المسروق -
و جاء به إلى قائد الجيش الاسلامى سعد بن أبى وقاص
رضى الله عنه ، و قال أيها الأمير : يبدو كأن هذا شئ
ثمين ، و أنا أسلك إياه ، لكى تجمله في بيت مال المسلمين
و قبل أن يتسلم التاج ، نظر الأمير - و هو من العشرة
المبشرة - إلى الرجل بشئ من الدهشة ، و تحدث في نفسه
فقال : كيف لم تفسد نية هذا الرجل المسكين البدوى في
هذا التاج الثمين ، المرصع الغالى ؟ كيف لم يفكر فيما إذا
ذهب به إلى خيمته ، و امتلكه دون أن يسلمه إلينا ، فسأله

الأمير عن اسمه ، فتولى عنه و قال : إن الذى عملت له يعرف اسمى ، و انصرف .

هذه قصة فرد واحد ، وأظن أن الذين كان لإسلام التار قاطبة فى حسابهم كانوا يتسمون بهذه الميزة ، و أنهم أخفوا أسماءهم . وقد واجهت أنا صعوبة فى تحقيق أسماء هؤلاء العظام حينما بحثت فى الموضوع أثناء تأليفى للجزء الأول من « رجال الفكر و الدعوة فى الاسلام » ، (١) و بعد بحث و عنه طويل عثرت على اسمين أحدهما لوزير صالح يدعى بالأمير توزير (٢) الذى كان رئيس الوزراء لملك التار الذى كان يحكم العراق ، كان هذا الوزير رجلاً صالحاً من العباد و الزهاد ، و ظل يلقى إلى الملك قولاً عن الاسلام و يحببه إليه ، حتى فوجئ أهل بغداد فى يوم جمعة أن رأوا الملك التارى السلطان قازان و وزرائه معه متجهين نحو الجامع

(١) يقع الكتاب فى أربعة أجزاء ، وقد صدر جزءان منه فى اللغة العربية ، نشرتهما دارالقلم فى الكويت .

(٢) يسميه آرنولد وغيره من المؤرخين « نوروزيك »

يحملون بأيديهم السبح ، يقول ابن كثير في البداية و النهاية :
« و نثر الذهب والفضة على رؤس الناس يوم إسلامه
و تسمى بمحمود ، و شهد الجمعة و الخطبة و خرب كنائس
كثيرة و ضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها
من البلاد و ظهرت السبح و الهياكل مع التار ، و الحمد
لله وحده » (١) .

و المآثرة التاريخية الثانية هي للشيخ جمال الدين ، وقد
انتشر الاسلام بفضل إخلاصه و ورعه في أحد فروع التار
الكبيرة ، الذى عرف بفرع جفطائى الذى كان يحكم البلاد
المتوسطة ، و كان مركزها كاشغر ، وأسست الفصيلة بكاملها ،
وكان من خبره أن الشيخ جمال الدين كان متجهاً مع جماعة إلى
جهة ، و كان التار يكرهون أهل إيران و يمتقرونهم ، و كان
الشيخ إيرانياً ، و صادف ذلك يوم القنص للامير تغلق
تيمور ولى عهد الأسرة الجفطائية ، و قد كانت مناسبة تتويجه
قرية ، و معلوم أن الهائمين بالقنص لهم أوهام و تشاؤمات

(١) البداية و النهاية ج ١٣ - ٢٤٠ .

لاسيما الامراء وانباء الملوك ، فلم تزل لهم أوهام وخرافات
يؤمنون بها ، فلما رأى الأمير أن الشيخ جمال الدين قد دخل
في الحى الذى كان قد خصصه لنفسه ، أمر بأن توثق أيديهم
و أرجلهم و يمثلوا بين يديه ، لأنه تشام به و تنقص من
أجلهم ، و سألهم فى غضب : كيف جرءوا على دخول هذه
الأرض ؟ قالوا إنا أجانب ، و ما علمنا أنها أرض ممنوعة ،
حمية للصيد ، فتورطنا فى الدخول فيها ، و معذرة ! و لما
علم أنهم إيرانيون ، قال للشيخ ، و أشار إلى كلبه ، و قال
أيكما أشرف ، أنت أم كلبى ؟ تصوروا جلال الموقف
و دقته ، و ماذا يكون رد فعله ؟ و لكنه لم يحدث أى
تغيير و لا اضطراب فى الشيخ جمال الدين ، إنه أجاب فى
هدوء و قال : إنه لا يمكن أن نحكم الآن فى هذا ، فسأله
الأمير ، و متى يمكن ذلك ، فقال : إن ذلك يتوقف على
على خاتمتى ، إذا كانت على الايمان فأنا أشرف و أسعد من
الكلب ، أما إذا لم أسعد بحسن الخاتمة فلا شك أن الكلب
هو أحسن منى .

أثر هذا الكلام الصريح في قلب الأمير لأنه كان صادراً
من القلب فوقع في القلب . ولا شك أن هذا الجواب قد
قد اقترنت به و سبقته دعوات مخلصه . و دموع منهمة ،
و كأنه قد قال بلسان حاله : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي
و قلة جيلتي . و أنت تملك أن تمنح كلامي هذا تأثيراً في
القلب ، و تلك هي لحظة قضاء الله في إسلام الأمير ، لأنه
إذا سعد بالإسلام سعد به حظ المسلمين ، (١)

وسأل الأمير عن الإسلام و الإيمان ، هنالك عرض
الشيخ على الأمير تغلق نيمور قواعد الإسلام في غيرة
و حماس ، رق لها قلب الأمير حتى كاد يذوب كما يذوب
الشمع ، وصور له الكفر بصورة مروعة اقتنع معها بضلال
معتقداته و فسادها ، و قال : « لكني إذا اعتنقت الإسلام

(١) سرد « آرنولد » في كتابه « الدعوة إلى الإسلام »

هذه الحكاية ، و ذكر أن الشيخ أجاب بقوله :

« لولا أن الله أكرمنا بالإسلام وشرف به قدرنا ،

لكنا أخس من الكلب » .

الآن ، فلن يكون من السهل أن أهدى رعاياى إلى الصراط
المستقيم ، فأهملنى قليلا ، فاذا بلغك أنى بويعت بالحكم ، وآلت
إلى ملكة أجسادى ، فعد إلى « و ذلك أن امبراطورية
جفطيانى انقسمت فى ذلك الوقت إلى إمارات صغيرة ،
و ظلت على ذلك سنين طويلة حتى نجح تغلق تيمور فى
توحيد الامبراطورية كلها تحت ساططانه و جمع كلمتها كما كانت
من قبل

و فى هذه الاثناء كان الشيخ جمال الدين قد عاد إلى
بلده حيث مرض مرضه الأخير ، فلما أشرف على الوفاة ،
قال لابنه رشيد الدين : « سيصبح تغلق تيمور يوماً ملكاً
عظيماً ، فلا تنس أن تذهب إليه و تقرئه من السلام ،
و لا تنس أن تذكره بوعده الذى قطعه لى » و لم يلبث
رشيد الدين إلا سنين قليلة حتى ذهب إلى معسكر الخان ،
و كان قد استرد عرش امبراطورية آباءه ، تنفيذاً لوصية
أبيه ، و لكنه لم يستطع أن يظفر بالثول بين يدى الخان
برغم ما بذله من جهود ، و أخيراً لجأ إلى حيلة طريفة ،

فكان يؤذن و يصل على مقربة من فسطاط الخان ، وذات يوم حين كان يؤذن في الصباح الباكر ألقى ذلك الصوت نوم الخان ، و أثار غضبه ، فأمر باحضاره و مثوله بين يديه ، و هناك أدى رشيد الدين رسالة أبيه ، و لم ينس تطلق تيمور وعده ، و قال : « حقاً ما زلت أذكر ذلك منذ اعتليت عرش آبائي ، و لكن الشخص الذي قطعت له ذلك الوعد لم يحضر من قبل ، و الآن فأنت على الرحب و السعة ، ثم أقر بالشهادتين ، و أصبح مسلماً منذ ذلك الحين ، و أشرقت شمس الاسلام ، و محت بنورها ظلام الكفر .

ودعا الملك تطلق تيمور رئيس وزرائه ، و قال له : إنني أحمل في صدري سراً منذ زمن ، لقد وقع ما سمعته من الشيخ جمال الدين في قلبي ، و لا يزال له سلطان على ، وقد قررت أن أسلم ، فما رأيك ؟ فقال له الوزير أيها الملك إنني مسلم من زمان ، و كنت أخفي إسلامي ، و قد اهتديت إليه في إحدى رحلاتي إلى إيران ، و دعا الوزراء والأمراء

إلى الملك ، و أسلموا بعد ما علموا بإسلام الملك .
هؤلاء التار لم يكن لهم حظ في العلم ولا في الحضارة ،
و لا شأن لهم بدين سماوى تستسيغه عقولهم ، فلم يكن
بوسع التار أن يقوموا بتدبير هذه المملكة الواسعة الراقية ،
بالعكس من ذلك ، كان هناك مقننون بارعون من المسلمين ،
و نظام الرى ، و جباية الضرائب ، و أحكام القضايا ،
و كان لدى التار قانون محدود للتعزير ، وضعوه على
أساس تجاربهم فى حياة الصحراء المحدودة ، فكانوا فى أشد
حاجة إلى المسلمين من قبل و كان المسلمون من العلماء وخبراء
القانون قد أدوا واجبهم نحو هذه المملكة الواسعة ، إنهم
ساعدوهم فى تدبير شئون المملكة ، و طبعوا فى نفوسهم
توجيهات الاسلام للحياة ، وكفأته الواسعة فى تنظيم المجتمع
و الدولة ، إنهم رأوا أن مرحلة الايمان و العقيدة التى
كانت تترب دورها قد تحققت الآن .

وما أن أسلم الملك تغلق تيمور إلا وقد أسرع التار
فى إيران نحو اعتناق الاسلام ، و تم لإسلام الجميع فى عدة

أيام ، وكانت الأسرة التتارية الحاكمة في العراق ، قد سبقتهم إلى الاسلام بجهود الأمير توزون ، و كانوا يتسابعون في قبول الاسلام ، ويتسابقون في عدد جم يبلغ مئات الآلاف ، و كل ذلك قد تم بفضل جهودات العلماء ، و الوعاظ ، و الدعاة المخلصين ، و خاصة بالجهود الخاصة التي بذلها العلماء الربانيون من أهل القلوب ، و تلك حقيقة لا يختلف فيها اثنان ، فان التاريخ شاهد عدل على ما قام به أصحاب القلوب المؤمنة دائماً من القيام بالدعوة و تغيير مصير الأمم في سرية و خفاء ، و استدرکوا بذلك ما لقيه المسلمون من هزائم سياسية ، و ما واجهوه من إخفاق في مجال السياسة ، و قبلوا الوضع ظهراً على بطن .

و قد أشار البروفيسور حتى (Hitti) إلى هذه الحقيقة التاريخية بقوله :

« طالما حدث أن « الاسلام الديني » أحرز نجاحاً كبيراً في أخرج ساعات انتكاس « الاسلام السياسي » (١)

(١) . History of Arabs P ' 475

ولا بد من تعليق على هذا الرأي ، وهو أن المقصود ،
 أن الاسلام كدين و رسالة أحرز النجاح ، و استـدرك
 ما فات ، حين منى الاسلام ، كقوة حاكمـة ممثـلا في دولة
 تنزعه بالاخفاق و الفشل ، و ليس هنالك « إسلام ديني »
 و « إسلام سياسي » ، كما توهم عبارة « حتى » و الاسلام
 لا يعرف الفصل بين الدين و السياسة .

و يقول أحد الفضلاء الهولنديين لو كـي كارد
 : (Frede Lokke Goard) :

« رغم أن الاسلام أصيب بالانحطاط السياسي مرات
 كثيرة . إلا أن الاسلام الروحاني ما زال متقدماً نحو
 الأمام » (١) .

و هذا المستشرق الشهير (H. A. R. Gibb) ألقى
 ذات مرة خطاباً أمام مجلس جامعة آكسفورد ، فقال :
 « طالما شهد تاريخ الاسلام أن الثقافة الاسلامية
 قويات بمنافسات شديدة ، و لكنها لم تنهزم رغماً من ذلك ،

(١) Islami Taxtation in the Clanic .

ذلك لأن الأسلوب التربوي الروحي (١) وتفكير العلماء الربانيين
أسرع إلى دعمها و تأييدها ، ومنحها قوة لم تصمد في وجهها
أى طاقة مضادة « (٢) .

و لا شك فان هؤلاء التتار يسجلون في كتاب
العلماء الربانيين ، و إن هؤلاء الآلاف المؤلفه الذين غيروا
مجرى التاريخ حينما يعيشون يوم القيامة ، يعدون في حسابهم ،
أولئك الذين كانوا موضع نقد لاذع في السنين الأخيرة من
غير هواة و إنصاف أو استثناء ، و لكنهم ينطبق عليهم
قول الشاعر العربي القديم (٣) .

(١) يعنى به نظام التربية الروحية و التزكية و الاحسان
الذين يوجد أصلهما في القرآن والسنة ، و قد سمي
في العهد الأخير « بالتصوف » و طرأت عليه من
طوارئ من الفلسفة و البدع ما يعلبه المتبصرون ،
اقرأ للتفصيل كتاب المؤلف « ربانية لا رهبانية »

(٢) . Islamic Culture 1942 P، 265

(٣) هو الشاعر الاسلامى الاموى الخطيئة بن جرول بن
أوس (توفي نحو ٥٤٥ هـ) .

أقلوا عليهم لا أبا لاييكم

من اللوم ، أوسدوا المكان الذى سدوا

وبالمناسبة ، من أشد حاجات المجتمع الاسلامى الدائمة وجود ربانيين صادقين . متبعين لا مبتدعين ، راسخين فى العلم والدين ، يربطون القلوب بالله - عند النكسة التى تصاب بها الحكومات الاسلامية ، أو فتنة المادة و الشهوات ، و التنافس فى البذخ و الثراء التى تمنى بها المجتمعات المسلمة - رباطاً وثيقاً جديداً ، و يعيشون فى النفوس التسمى عن الأغراض الخسيسة ، والتكالب على حطام الدنيا ، ويكرهون إليها الحياة الذليلة ، و المنة الرخيصة . و الخضوع المستكين للسلطات و الثروات ، و بيع الضمائر و الذمم ، و المساومة فى الشعوب و الأمم ، و يحبون إليها الاستماتة فى سبيل العقيدة و المبدأ ، و الشهادة فى سبيل الله ، و يحاربون اليأس القاتل ، و يحددون الأمل فى روح الله و نصره ، و يشتغلون بالدعوة إلى الله و تربية النفوس ، و لإمداد المجتمع المتداعى النهار . برجال أكفاء ، أقوياء ، أمناء ،

يحفظون ثغور الاسلام و يرابطون في سبيل الله ، و يمثلون في بيتهم و مجتمعهم دور الامام الحسن البصرى في العصر الاموى ، و دور الحافظ ابن الجوزى ، و حجة الاسلام الغزالى ، و الامام عبد القادر الجيلى في العصر العباسى .

إن وجود هؤلاء الربانيين حاجة المجتمع الاسلامى في كل عصر ومصر ، هم الذين ينجحون حين تفقد الحكومات ، و ينتصرون حين تنكس الرايات ، و غيابهم و انقراضهم - كما وقع مع الأسف في بعض الأقطار الاسلامية التى أغدق الله عليها الخيرات ووسع لها فى الرزق - عوز لا يسد وخسارة لا تعوض ، وخطر على المجتمع الاسلامى والدعوة الاسلامية ، لا يزال بالمنظمات السياسية ، و الأساليب العلمية ، والوسائل الدعائية ، و مجرد الهتافات العالية الفارغة .

ضربت لكم مثلاً بالقرن الذى بدأ بأحداث هائلة كانت تهدد بقاء الاسلام ، لكن المسلمين لم يخسروا الهمة العالية ، و العزم الأكيد ، إذا كانوا قد خسروا الدولة والمملكة ، و تلك حقيقة ثابتة ، فان الدولة يمكن أن يخسرها المسلمون

عشر مرات ، و لكنها تستطيع أن تعود في المرة الحادية عشرة ، أما المهمة إذا خسرها صاحبها مرة واحدة فانها لا تعود في أغلب الأحوال .

ظل دعاة الاسلام مشغولين بوظيفتهم في صمت من غير دعاية وليت شعري هل كان المسلمون قد أسسوا حينذاك جمعية لدعوة التتر إلى الاسلام ، أو نشروا إعلاناً أن التتار إذا أسلموا أفاد ذلك عودة المسلمين إلى الحكم المفقود والحصول على السلطة ؟ المرجح أن شيئاً من ذلك لم يوجد ! ولكنني أعلم أن هؤلاء الدعاة قاموا بواجب الدعوة في هذه الأمة التتارية من غير أن يطلع عليه الناس ، و ما هي إلا مدة قليلة إذ فوجئ العالم باسلام الأمة التتارية جمعاء .

إنني مثلت لكم بالقرن السابع الهجري و الثالث عشر الميلادي الذي بدأ بأحداث مروعة أفزعت قلوب المسلمين ، ولولا أنهم كانوا يملكون قوة العقيدة لهجمت عليهم ردة فكرية و حضارية ، إن لم تكن ردة إيمانية و لكن لم تحدث هناك ردة حضارية و لا فكرية فضلا عن الردة الایمانية .

و أضرب لكم مثالا آخر للقرن العاشر الهجرى
 (القرن السادس عشر الميلادى) و لا أتوغل بالمناسبة فى
 تاريخ العالم الاسلامى الواسع ، بل أتحدث عن الهند التى
 أظل عليها منتصف القرن العاشر الهجرى فى ظروف قاسية
 كانت تهدد حرمان الهند قيادة الاسلام و توجيهاته ، بل
 كادت تحرم فضل الاسلام و نعمته ، كان يبدو أن ذلك يتم
 فى ظرف أيام ، اقرأوا تفاصيل ذلك فى كتب التاريخ (١)
 وقد وجدت آنذاك فى العالم الاسلامى مملكتان كبيرتان
 مملكة العثمانيين فى آسيا الصغرى و الشرق العربى ، و مملكة
 المغول فى شبه القارة الهندية ، و كانت المملاكة الصفوية فى
 إيران على الدرجة الثالثة ، وقد حدث هنا فى الهند أن عدداً
 من عباقرة العلماء و المثقفين - يتميز من بينهم أبو الفضل
 و فيضى عن غيرهم - انضموا إلى حركة كان يقودها إمبراطور
 عظيم ذو عزم أكيد و ذكاء نادر ، و غزو و انتصار ،

(١) مثلاً - رجال الفكر و الدعوة « المجلد الثالث »

لؤلؤف ، الذى سيصدر قريباً إن شاء الله .

و كانت تهدف هذه الحركة إلى تغيير وجهة الهند من الاسلام إلى دين جديد اخترعه الامبراطور « أكبر » وسماء « الدين الالهى » و « إلى وحدة الأديان » (١) التى كانت الكفة فيها راجحة إلى جانب آخر بصفة دائمة (٢) .

(١) يعنى أن الأديان كلها سواء . لا فضل لأحد على آخر ، و كلها طرق موصلة إلى الله ، و إن اختلفت فى التفاصيل و الشعارات ، و سمى الله بأسماء مختلفة ، و لا تزال الدعوة قائمة فى الهند يقودها بعض الزعماء الهندوس و العلمانيون ، و هى فتنة كبيرة يقاومها العلماء و مسلمون غيارى على الاسلام الذين يؤمنون : « إن الدين عند الله الاسلام » وقوله تعالى : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلم يقبل منه » .

(٢) إن هذه الحركة التى أسست على التسامح و الصلح الكامل لم تكن عادلة فى حق الاسلام فرجحت فيها طبعاً كفة الديانة و الفرقة التى كانت ذات تأثير

كان ذلك ملحق خطيراً للقوة المادية و الذكاء النادر ،
أو كانت مؤامرة ضد الاسلام تتولاها مملكة مطلقة، وعقلية
منحرفة ، يتعذر نظيرها في التاريخ ، و كان الناس يطنون
جهاراً أن القرن العاشر أوشك على النهاية ، والقرن الحادى
عشر (الذى يتدى به الألف الثانى من التقويم الهجرى)
على الأبواب ، و إن ألف سنة ، مدة كبيرة لآى دين من
الاديان ، و قد قام رجال من العلماء و المثقفين ، ممن
لم يكونوا على جانب كبير من العلم والورع وكانوا يحرصون
على المناصب فوفروا لذلك دلائل فى ضوء تاريخ الديانات
و أثبتوا أن ديناً لم يدم أكثر من هذه المدة ، و كلما مر
عليه ألف سنة حل محله دين جديد ، و قيادة فكرية

❖ فى البلاط و يميل إليها الامبراطور ، فقد اعترف

مؤرخو « تاريخ الهند بايجاز » « مورليند » و ، ا ،

س ، جترجى : بأن قوانين البلاط الأكبرى كانت

أقرب إلى الديانة الهندوكية منها إلى دين الاسلام ،

و أكثر حماية لها .

جديدة ، وقالوا : إن الدين العربى قد أدى رسالته ، وقضى حاجته ، ومر على نبوة محمد ﷺ ألف سنة ، والجيل الجديد بحاجة إلى دستور جديد وشرعية جديدة ، و ما أكثر الفتن التى تنشأ من فلسفات تتحرر عن قيود الدين و الأخلاق .
تصوروا هذا الخطر المتفاقم ، لقد كان حامل لواء هذه الحركة و رمزها ذلك الامبراطور الذى كانت الهند كلها ترتجف أمام سيفه ، الذى كان قد ذل كل عقبة كأداة ، و ما كان يعرف للزيمية و الفشل معنى ، كان دم الشباب و القوة يجرى فى عروقه و شرايينه ، و يقتنى آثار آباءه و أجداده فى حل المشكلات ، والطموح إلى المعالى ، وكان يجوار هذا الامبراطور القوى ، عالم متفنن فى علوم كثيرة ، وله باع طويل فى الآداب والكتابة ، والانشاء والتأليف ، خلف وراءه كتابات تشهد بعبقريته ، و فرط ذكائه ، هو أبو الفضل علامى (١) أحد أركان الدولة ، وكبار الوزراء .
فإذا كان ١٩ حلت أواخر القرن العاشر تحمل فى طيها

(١) لقب كان يلقب به كبار علماء البلاط .

دلائل ثورة على الاسلام ، و تنبئ أن الاسلام لم يعد له
قرار في هذه البلاد ، ويكاد يودع أهلها ، الأمر الذي يعنى
أن السلطة الدينية والروحية تكاد تنتقل من أهلها إلى طاقات
وفلسفات جديدة ، مع انتقال السلطة السياسية إلى غير أهلها ،
إن هذه الثورة كادت تقضى على تلك المجهودات التي بذلها
الفزاة المغامرون لفتح هذه البلاد منذ عدة قرون ، و في
جانب آخر كانت تضع ثمار ذلك الجهاد الذي قام به الشيخ
معين الدين الجشتي ، و خلفاؤه المخلصون ، أولئك الذين
وجموا من داخل زواياهم إلى أرواح مبعودة ، دروس
الإنسانية والحب والمساواة والعدالة الاجتماعية ، و أشرفوا
على الحكومة الحاضرة دينياً و خلقياً من خارج زواياهم ،
و هيأوا للدولة و المجتمع أفراداً صالحين أقوياء أمناء ،
ورعين محبين للإنسانية ، و نفخوا في حركات البلاد العلمية
و التربوية روحاً جديدة . (١)

(١) ليرجع للتفصيل إلى كتاب « نزهة الخواطر » للعلامة

السيد عبد الحى الحنفى رحمه الله ، و « المسلمون في

الهند » للمؤلف ،

ثم ماذا حدث ؟ لقد طلع نجم من زاوية الايمان
و الاخلاص ، و العلم و الحكمة ، التى ظلت متدقة بالحياة
و النشاط على الدوام ، إنه لم يطلع من أفق مَادى أو مِياسى
و قد عرف باسم الشيخ أحمد السرهندى مجدد الآلاف الثانى
(٩٧١ — ١٠٣٤ هـ) . ذلك الرجل العظيم الذى تحدث
عنه محمد إقبال الشاعر الاسلامى فقال ، ما معناه :

« ذلك الرجل الكبير الذى نهض لصيانة تراث الدين ،
الذى نهه الله على الخطر المحقق بالآمة فى أوانه ، ذلك
العصامى الذى لم يحن رأسه أمام الملك جهانكير ،
و نفخ فى الأحرار روحاً وثابة من الايمان والحنان » .

و لمقاومة تلك المؤامرة ضد الاسلام التى دبرها عباقرة
ذاك العصر ، يقوم رجل فقير فى إحدى زوايا « سرهند » ،
و يعتزم أن ذلك لا يكون ، إنه تسامد نفسه ، فقال لماذا
يحرم المسلمون فى هذه البلاد أن يعيشوا أحراراً أعزاء ،
متمسكين بشعائهم الدينية ، ولماذا يضيق عليهم وحدهم مجال
الحياة ؟ ؟

فإذا كانت النتيجة ؟ لما بدأ القرن الحادى عشر الهجرى
رأى العالم أن الأوضاع تغيرت ، و أن مستقبل الاسلام
فى هذه البلاد أصبح مضموناً إلى ما بعده بقرون ، قام هذا
الرجل العظيم من سرهند لدحض الأباطيل والمغالطات العلمية
و الاشرافية التى كانت متجهة إلى إنكار حاجة البشرية إلى
النبوّة و الأنبياء و خلود الرسالة المحمدية وإن الشريعة دائمة
لم تتسخ ، و المسلمون مكلفون بها فى كل مكان و زمان ،
و السنة قائمة لم تزل ، و سعادة المسلمين منوطة بالتمسك بها ،
و لا بديل عنها ، و بذلك أعاد ثقة كثير من الذين اضطربت
عقائدهم بالشريعة الاسلامية ، و رد إعتبارها (١) .

لم يحاول تنظيم قوة ضد الامبراطور « أكبر » ، لقد
تفطن بدراسته التاريخية ، و بصيرته القرآنية ، أنه سيمضى
بالاخفاق الذريع ، إذا أبدى خصومه له ، و تمثل أمامه
كنافس ، فالدولة قوية فتية لم يتسرب إليها الوهن ، ولم يسر
(١) من أراد التفصيل فليراجع « رجال الفكر و الدعوة »
للتألف ج ٣ ، المائل للطبع (الباب الخامس) ،

إليها الهرم ، و سوف تصد في وجهه الطرق ، فينبغي له
أن يدعو الله ، و يجمع حوله مخلصين أكفاء ، و يتناوهم
بالتريسة الشاملة التي تنجو بهم من مزلق المال والحكم ،
و تجعلهم بعيدى النظر ، لا يطمحون إلى الجاه و المنزلة ،
و الزلى عند الحاكم ، يصلح بهم الأوضاع الفاسدة ، و يحول
بهم اتجاه الدولة و المجتمع ،

وحدث بامبراطور دأ كبر ، حدث الموت ، وخلفه
ابنه جهانكير ، و لم يكن معانداً للإسلام ، و لم يكن راضياً
بكثير من تصرفات أبيه الراجعة ، و سياسته المناوئة للإسلام
و كان حوله رجال من العنصر الكريم ، وأهل الغيرة على
الإسلام . فبدأ يرسل هؤلاء الأمراء ، و قادة الجيش ،
و بطانة الملك ، يثير فيهم الغيرة الإسلامية ، ويشعل شرارة
الايان الكامنة في نفوسهم ، ويذكرهم بمسئوليتهم نحو الإسلام
الذى يمر بمرحلة خطيرة في الوقت الحاضر ، حتى يقوموا
بدورهم ، و ذلك كله بطريقة عليية في أسلوب أدبى قوى
يأخذ بمجامع القلوب ، و بثقة من القلب و يقين منه ،

و توجع للوضع الاسلامى المحزن . يفتت الكبد و يثير
الاحزان .

و هؤلاء الامراء تطول قائمة اسمائهم . و يجدر بالذكر
منهم عبد الرحيم خان خانان ، و الامير مرتضى خان
(سيد فريد) فكانت النتيجة أن الوضع تغير فى ظرف
١٥ - ٢٠ عاماً ، حتى انتقل مركز الثقل فى العلوم الدينية
إلى الهند ، و القيادة الفكرية و الروحية ، و انتهت إليها
رئاسة التدريس ، والنشر لعلم الحديث ، و التربية الروحية ،
و ظهر تفوقها حتى فى اللغة العربية و آدابها ، إن المكانة
التي حظيت بها الهند فى خدمة العلوم الاسلامية ، و نبوغ
رجال العلم و الدين الكبار فيها ، إنما يرجع الفضل فى ذلك
إلى هذه الجهود الخاصة التي بذلها الامام السرهندى ، وظلت
مصاييح العلم و التحقيق تتوقد فى أرجاء هذه البلاد .

و ظهر بعد مدة الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
(١١١٤ - ١١٧٦) الذى أسس علم كلام جديد ، و قام
بشرح و إيضاح معنى نظام الخلافة ، و عرض مخطط الحكم

الاسلامى الصحيح الذى لم يسبق له نظير فيما أظن (١) مع ما بذل من محاولات لاتخاذ الحكومة الاسلامية فى الهند - التى لم يكن لها بديل فى ذلك الوقت - من الوضع المهار ، وبعث روحاً جديدة فى جسمها ، ذلك أن سقوطها وضعفها كان يهدد بخطر الاضطراب الكبير خلقياً و سياسياً (٢) .

و قام أبنائه الموفقون الأفاضل (و فى مقدمتهم الامام عبد العزيز بن ولى الله رحمه الله) بنشر علوم الكتاب و السنة فى هذه البلاد ، وجد منه إقبال عام على دراسة القرآن و تفهم معانيه ، و انبثقت منه حركة قوية لتدريس

(١) و الدليل على ذلك كتابه الفريد « إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء » بالفارسية .

(٢) لمزيد التفصيل راجع « رسائله السياسية » التى كتبها إلى أمراء المسلمين وقادتهم ، وقد جمعها البروفيسور خليق أحمد نظامى رئيس قسم التاريخ فى جامعة عليكرة الاسلامية فى مجموعة ، و قدم لها و علق عليها .

الصالح الستة ، و العناية بالحديث الشريف ، ونشره و نقله ،
إلى اللغة الأردية ، و انطلقت موجة عارمة لاصلاح العقائد
و الأعمال ، و معارضة التقاليد الهندوسية التي تسربت إلى
المجتمع الاسلامى الهندى .

كانت حركة الاصلاح و الجهاد ، و إحياء السنة ،
و الخلافة الكبرى التي قادها العالمان الشيران الامام أحمد
ابن عرفان الشهيد (١٢٤٦ هـ) و العلامة محمد إسماعيل
ابن عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى ، الشهيد (١٢٤٦ هـ)
فى شبه القارة الهندية ، حلقة متينة ذهبية لهذه السلسلة الذهبية
و قد وقعت هذه الحركة الجليلة لتقديم نماذج من السيرة
الاسلامية ، و الحجة الدينية ، و تربية الانسان و صناعة
الرجال ، جددت ذكرى القرون الأولى . إن هذه الجماعة
تابعت جهودها على جبهة الدعوة و الاصلاح الواسعة التي
يتعذر نظيرها فى تاريخ العالم الاسلامى سابقاً (١) .

(١) راجع للتفصيل « حركة الهند الاسلامية الأولى »

للاستاذ المرحوم مسعود الندوى ، وكتاب « الامام ★

ثم جاء عهد المدارس الدينية ، و تأسست مدرسة
دار العلوم ديوبند ، و مدرسة مظاهر العلوم بـسهارنپور ،
و دار العلوم ندوة العلماء فى لكهنؤ ، و غيرها من المدارس
الاسلامية فى أنحاء البلاد التى قامت على أساس الكتاب
و السنة ، و نشر تعاليمها (١) و قد تم بجهود مؤسسى هذه
المدارس الكبار و أفاضلها المخلصين ، و الراضين فى العلم
إصلاح العقائد و الأعمال على أوسع نطاق ، و نشأ ذوق
دينى ، و غيره إسلامية فى الناس ، و أسهم منهم عدد وجيه
فى حركة تحرير البلاد ، و النشاطات العلمية و الأدبية ، و لم تحدث
تلك الفجوة الواسعة العميقة بين جماهير هذه البلاد ، و الطبقة

★ الذى لم يوف حقه من الانصاف و الاعتراف ،
بقلم المؤلف .

(١) كالمدارس السلفية ، و المعاهد التى أنشأها إخواننا
أهل الحديث فى أنحاء البلاد ، و للاطلاع على تفاصيل
هذه المدارس ، راجع كتاب « المسلمون فى الهند »
و هو استعراض تاريخى موجز .

المثقفة و بين علماء الدين ، كما حدثت في كثير من الأقطار
الاسلامية حتى آلت إلى الثورة والعداء في بعض الأحيان ،
ولم يأخذ المجتمع الاسلامى في هذه البلاد بمبدأ « فصل الدين
عن السياسة » كما أخذت به بعض المجتمعات الاسلامية في بلاد
أخرى ، و لم تزل و لا تزال الصلات قوية بين الشعب
و العلماء و لا يزال للدين و ممثليه سلطان على الدهماء .

وبفضل جهود هؤلاء العلماء العلمية تمتعت الهند بمركزية
دينية ، حتى آتى عليها حين من الدهر ، إذا أراد أحد في
اليمين في أقصى الجنوب ، ومراكش في أقصى الشمال ، وغيرهما
من الدول الاسلامية ، أن يصل إلى درجة اختصاص في
الحديث الشريف ويتخرج فيه ، أم الهند ، وكذلك من أراد
منهم أن يكمل تربيته الدينية ، و التزكية النفسية . ويتدرج
إلى مدارج السمو الروحى ، و الصفاء النفسى . توجه إلى
الهند ، ظهر الشيخ خالد الرومى في الجزء الشمالى للعراق والشام
الذى كان ضمن تركيا ، وأتم دراسته الدينية في « شهرزور »
و « دمشق » ، ولكنه لما أراد أن يطفى ظمأه الروحى ،

و يقوى إيمانه بأوامر الله ، و حقائقه الغيبية مثل الإيمان بالبدنيات ، و نتائج العلوم الرياضية ، قصد الهند و وصل من بلده «شهرزور» إلى دهلí رأساً ، (١) و نزل في زاوية الشيخ غلام على (١٢٤٠م) و لازمه حتى أذن له بعد تكميل دروسه الروحية بالعودة إلى بلده و أفاد الخلق بعلمه و أخلاقه ، و الحقائق الدينية في بلدان العراق و الشام و تركيا ، و نفخ فيها روحاً جديدة لا تزال لها آثارها .

إن حديثي هذا و إن كان محدوداً إلى ذكر حركات الهند الإصلاحية و التجديدية إلا أنه لا بد بالمناسبة من الإشارة إلى بعض الحركات الدينية الكبيرة التي قامت خارج الهند ، و خاصة حركة تطهير العقائد و دعوة الدين الخالص الكبرى ، التي قامت في مركز الاسلام (الجزيرة العربية)

(١) ليرجع للتفصيل إلى رسالة « سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندی » للعلامة ابن عابدين (مجموعة رسائل ابن عابدين) .

قادما الامام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)
الذى عاصر شيخ الاسلام احمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى
الهند (١) ، وقد كسبت دعوته هذه - نظراً لأسباب
تاريخية و سياسية خاصة - نجاحاً لم يلقه كثير من الدعاة
والمصلحين ، فقد نشأ نتيجة لها جيل مستقل . بملكه واسعة ،
ومدرسة فكرية بلغ تأثيرها الى أنحاء بعيدة .

وفى نفس هذا العصر ولد فى اليمن العلامة محمد بن
على الشوكانى (١١٧٢ - ١٢٥٠ هـ) وفى « عسير » احمد
بن عبد الله بن إدريس الحنفى مؤسس السلسلة الادريسية .

(١) شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب قرين شيخ
الاسلام احمد بن عبد الرحيم فى السن تقريباً ، إذ
أن الشيخ الدهلوى ولد فى (١١١٤ هـ) و الشيخ
عبد الوهاب من مواليد (١١١٥ هـ) و للاطلاع
على أحوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وترجمة
حياته ، راجع كتاب « محمد بن عبد الوهاب المصلح
المفتى عليه » للاستاذ المرحوم مسعود التدوى .

وفي ليبيا السيد محمد بن علي السنوسي (١٢٠٦-١٢٧٦هـ) (١) الذين قاموا في بلادهم بحركة إصلاح العقائد و التقاليد ، ونشر الكتاب والسنة . والتربية على الجهاد والسيرة النموذجية ، و يحاول مستشرقو الغرب إثبات أن هؤلاء المصلحين كلهم من غرس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه مباشرة أو بواسطة ، و لكن القضية ليست كلية مطلقة ، إن العقلية الغربية عاجزة عن تفهم هذه الحقيقة . و هي أن دراسة

(١) المجاهد الشهير والمصلح الكبير سيدي أحمد الشريف السنوسي (الامام السنوسي) كان حفيد الشيخ محمد ابن علي السنوسي الذي أبلى في حرب طرابلس وبرقة ضد الطليان بلاء حسناً ، و ظل يقاوم إلى مدة ١٣ عاماً هذه القوى الكبرى بنجاح كبير و قوة صامدة . لقد جمع بين السيف والمصحف في وقت واحد ، كان يعتبر من كبار المربين في عصره ، توفي بالمدينة المنورة في عام (١٣٥١هـ - ١٩٣٣م) و للاطلاع على التفاصيل راجع كتاب « حاضر العالم الاسلامي » للأمير شكيب أرسلان : ج ٢ .

الكتاب و السنة الواعية المخلصة تفتق العقول و القرائح ،
وتزيل الغشاوة عن العيون ، وتلهب جذوة الايمان والحماس ،
فتنهض في كل فترة تاريخية - قد تطول و قد تقصر -
قادة وآئمة ، ومصلحون ومرشدون ، يثرون على الأوضاع
الفاسدة ، و يعانون الحرب على العقائد الزائفة و التقاليد
الجاهلية ، و ستدوم هذه السلسلة إلى يوم القيامة .

وبرز بعد ذلك بقليل إلى ساحة العمل والدعوة العلامة
السيد جمال الدين الأفغانى (١٣١٤م - ١٨٩٧م) فنفخ
في صور الغيرة الاسلامية و الجامعة الاسلامية الذى ارتج
به الوطن الاسلامى الكبير . من مصر إلى الشام و تركيا ،
لقد أسهم هو و تلميذه النجيب المفتى محمد عبده المصرى
(١٣٢٣م - ١٩٠٥م) في إيقاظ الوعى الفكرى لدى
الشباب المسلم القلق الذكى إسهاماً كبيراً (١) .



(١) منذ سنوات عديدة ماضية أصبحت كلتا الشخصيتين
(الأستاذ والتلميذ) موضوع البحث والتقد ، ونشرت ★

أما ما يتصل بالقرن الرابع عشر الهجري فإنه من وجهة
نظر المسلمين قرن الانتصارات و الاخفاقات ، و الأخطاء
و تداركها . و قرن سذاجة الشعوب الاسلامية واغترارها ،
و قرن الوعي و اليقظة السياسية ، في وقت واحد و قيام
دول و حكومات مسلمة كثيرة ، و قرن حركات إسلامية
قوية متعددة ، فان هذا القرن يجمع من تنوع الحوادث
و الوقائع و تناقضها ما يتعذر نظيره في القرون الماضية .

✻ الجرائد والمجلات العربية مقالات ، وألقيت محاضرات

في الندوات العلنية تقلل من عظمة الشخصيتين
و لم تعدا كما كانت قبل اليوم بربع قرن .

و لكن الواقع الذي لا ينكر أنهما مثلاً

دوراً له قيمته في إعادة ثقة الشباب المسلم بصلاحيته

الاسلام في العصر الحاضر و حيويته ، و من أراد

التفصيل فليراجع كتاب المؤلف ، « الصراع بين

الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية في الأقطار

الاسلامية » .

لما ابتدأ القرن الرابع عشر كانت راية الخلافة العثمانية
خفاقة على ممتلكاتها ، و كانت ظلال الخلافة الاسلامية
تظل المسلمين ، و كان السلطان عبد الحميد خان الثانى
(١٣٢٧ هـ - ١٢٩١ هـ - ١٩٠٩ - ١٨٧٦ م) على
سرير الخلافة ، الذى ظل هدفاً للنقد و الطعن إلى أواسط
القرن العشرين ، و إن المؤلفين الغربيين جندوا أقلامهم
لتشويه وجهه ، و لكن البحوث والدراسات التاريخية التى
نشرتها بعض المجلات العربية والتركية الموقرة حديثاً ، أثبتت
فى ضوء مذكراته أنه كان حاكماً إسلامياً ذا حمية و غيره
إسلامية كبيرة — رغماً من بعض خصائصه الطوعية ومواقع
الضعف التى قد تكون خصيصة للمملكة الموروثة و رد فعل
للمعارضات الداخلية و الخارجية والمؤمرات التى دبرت حوله
من كل جانب — لم تكن تستطيع القوى الغربية فى عهده
أن تتجفع فى توزيع تركيا كمال سائب ولم يكن احتلال اليهود
فى أى جزء من فلسطين ممكناً ، و هو الذى رفض بازدراء

كل ما تقدم به الوفد اليهودي الممتاز إليه من مساومات
ورشى ، و قال لهم ، وقد حمل حفنة من تراب الأرض :
أنتم تريدون منى بيت المقدس ، و أنا لن أرضى باعطائكم
مثل هذه الحفنة من تراب فلسطين (١) و هو الذى نفخ
فى جسم الخلافة الاسلامية روحاً جديدة وفى العالم الاسلامى
حماساً جديداً للوحدة الاسلامية و « الجامعة الاسلامية » .

إن الدولة العثمانية التى كانت تتشرف بتولى الحرمين
الشريفين و شرف الخلافة الاسلامية كانت حصاراً حديداً
للمقدسات الاسلامية والدول العربية ومنبع قوة وعزة للأمم
الاسلامية ، أينما كانت ، رغم ضعفها والفتن الداخلية والخارجية
و المؤامرات المروعة التى كانت تحيط بها ، فلم تكن هذه
المقدسات و الدول العربية - التى كانت ترتبط بها قلوب
المسلمين و شرفهم - لى توزع كمال اليتيم ، إن الدولة العثمانية

(١) حدثنى بذلك سماحة المفتى الأكبر الحاج السيد محمد
أمين الحسينى رحمه الله عدة مرات ، و هو من
أوثق رواة هذا الموضوع .

كانت تمتد و تسع في بداية هذا القرن إلى اليمن و عسير
شرقا ، و إلى أدرنة و ألبانيا في أوروبا ، و إلى طرابلس
و تونس و فزان في إفريقيا غربا ، و إلى أسوان و مصر
و برقة جنوبا ، و إلى بلغاريا و دويلات بلقان ، طرابزون
و أدرينا نوبل شمالا ، و كانت الدولة العثمانية تتضمن معظم
أجزاء آسيا الصغرى كالشام (و ضمنها كانت فلسطين الحالية
و لبنان و الأردن) و مصر ، و الجزيرة العربية و العراق
و القبرص و كانت أوروبا لا تزال تحسب « للرجل المريض » (١)
حساباً خاصاً .

و لكن المسلمين لم يقدروا هذه النعمة ، التي كان الله
سبحانه قد أنعم بها عليهم في صورة الخلافة و إمبراطورية
مسلمة واسعة ، إن عزل السلطان عبد الحميد خان في عام ١٩٠٩م
لم يكن حادثاً ذا شأن يغير مجرى التاريخ ، ويمكن أن يكون
ذلك نتيجة الأوضاع السياسية في ذلك الوقت أو نتيجة

(١) إن المؤلفين و السياسيين الأوربيين يسمون المملكة
التركية و الأمة التركية بالرجل المريض (Sick Man)

المؤامرات و الدسائس ضد السلطان ، و قد تابع على عرش
الخلافة بعده السلطان رشاد و السلطان وحيد الدين خان
والسلطان عبد المجيد ولكن الحادث المؤلم الذى نكب به العالم
الاسلامى كله وأهين ، والذى خسر من أجله المسلمون بيت
المقدس ، هو احتلال الاستعمار الغربى فى الدول الغربية
كصر سورية الطبقية الكبرى و العراق ، و الجزء الشمالى
لافريقيا إما مباشرة أو بواسطة ، و يبدو أن مدة هذا
العقاب (خاصة فيما يتعلق بالدول العربية فى آسيا الغربية)
لم تنته بعد ، و قد حمل العرب السلاح على الدولة العثمانية
لما وقعوا فريسة مؤامرة الأقلية المسيحية الداهية التى كانت
تقطن فى الدول العربية ووثقوا بمواعيد الحلفاء الاتحاديين الخداعة ،
وسحروا بسحر القومية العربية إبان الحرب الكونية الأولى فى
عام ١٩١٤م ، و قد قاد الشريف حسين ، الثورة ضد الأتراك
فى ١٠ يونيو ١٩١٦ م ، و تحررت الشام و فلسطين من
سلطة الأتراك كنتيجة لها فى عام ١٩١٧م و تمت السلطة
البريطانية على مصر ، و احتل الانجليز بيت المقدس فى

١٩ / ديسمبر ١٩١٧ م ، و في أول أكتوبر لعام ١٩١٨ م
دخل الأمير فيصل نجل شريف حسين والجنرال ألبي منتصرين
في دمشق ، واتجه الجنرال الفرنسي غورو إلى قبر فاتح يث
المقدس و مفخرة الاسلام السلطان صلاح الدين الأيوبي
(رحمه الله) ورفسه قائلا : لقد انتصرنا اليوم يا صلاح
الدين و دخلنا عقر دارك ، فالى متى تبقى قائماً ؟ و مع
نهاية شهر أكتوبر ١٩١٨ م كانت الجزيرة العربية و الشام
و لبنان و العراق و دول العرب كلها قد خرجت من أيدي
الأتراك و تم عليها تسلط الخلفاء الاتحاديين .

لقد كان العالم الاسلامي كله قلقاً بهذا الوضع والمسلمون
مهاين ، ولكن أثر هذه النكبة على مسلمي الهند ، كان أعمق
وأقوى من سائر المسلمين في أنحاء العالم وتظاهروا باضطرابهم
القلبي والفكري ، في نفس هذا الوقت قامت حركة الخلافة في
الهند (التي تعتبر كبرى حركة دينية وسياسية في هذا القرن)
وهزت الهند كلها بقيادة العلماء المسلمين وقادتهم كان في مقدمتهم
و على رأسهم الشيخ عبد الباري الفرنجي محلي ، وشيخ الهند

مولانا محمود حسن الديوبندى ، ومولانا أبو الكلام آزاد ،
والزعيم مولانا محمد على جوهر ، وأخوه مولانا شوكت على
و مولانا ظفر على خان و غيرهم من العلماء و القادة الذين
يندر نظيرهم فى العالم الاسلامى كله فى قوة الشخصية والغيرة
الاسلامية ، و الحماس الخطابى ، و بهذه المناسبة سالت
قلوب المسلمين دماً ، و تفجر شغورهم الى كالبركان ، إن
هذه الحركة العملاقة أنشأت فى الهند كلها- فى المسلمين وغيرهم -
وعياً سياسياً و كراهية شديدة للسلطة الغريبة و الحضارة
الغريبة ، حتى إن الزعيم غاندى أبدهذه الحركة تأييداً كلياً ،
و قام مع زعمائها بجولات واسعة على مستوى عموم الهند .
و لكن لما أعلن مصطفى كمال باشا (كمال أتاتورك)
فى ٣/ مارس ١٩٢٤م نهاية الخلافة مادت بالمسلمين الأرض
و أظلمت عليهم الدنيا ، و فى هذه المناسبة بالذات قال
الشاعر محمد إقبال ما معناه .

« لقد شق التركى الجاهل رداء خلعة الخلافة ، ما أشد

المسلم مذاجة و عدوه دهاً » .

كان هذا العصر مدهشاً مؤملاً للعالم الاسلامى ،
و كان مماثلاً فى شئ كثير بالنصف الاول من القرن السابع
الهجرى الذى قضى فيه التآمر على السلطة الاسلامية بالهجوم
على مدن العالم الاسلامى الرئيسية المخصصة ثم باحتلالهم فيها ،
و أبدلوا عزة المسلمين بالذل و العار ، و لكن ذلك لم يكن
إلا غارة عسكرية لشعب شبه متوحش لم يصمد فى وجهه
العالم الاسلامى المتمدن المترهل ، و لم تكن ترافقه فلسفة
فكرية ، و حضارة جديدة و أفكار و قيم جديدة ، و لكن
غارة الأمم الغربية و بلدانها - التى تمت فى الثلث الاول للقرن
الرابع عشر الهجرى و أوائل القرن العشرين الميلادى - اختلفت
عنها كلياً فقد رافقتها فلسفات جديدة ، و نظام جديد للتعليم
و التربية ، و أفكار و قيم جديدة ، و جيش هائل جديد
للالحاد و التشكيك و مذهب جديد للمادية .

و بما زاد الطين بلة أن الثورة البلشفية حدثت فى
مارس ١٩١٧ م . التى لم تكن تتناول التاريخ و الجغرافية
و الخريطة السياسية بالتغيير و التحريف فقط ، و لم تكن

مقصورة في مجال الاقتصاد والسياسة فحسب إنما كانت تهدم
أسس العقيدة و العمل و الأسول و المبادئ و الأخلاق
والمجتمع ، بل أساس الحياة الانسانية و الشعور الانساني
بأسره ، لكي تقيم على أنقاضه بناءً جديداً ، وكانت تهدف
الاسلام والمسلمين بأضرارها و ضرباتها أكثر من أى شئ ،
أولئك المسلمين الذين كانوا حاملي دين إيجابي واضح و عام
للاديان كلها ، و الذين كان من بين واجباتهم الدينية « الحسبة
على المجتمع البشرى » ومع الأسف لم يكن هناك من يشعر
بهذا الخطر الدام في وقته ويقاومه إلا قليلا ، إن المسلمين
لم يثبتوا فراستهم الايمانية التي كانت تتوسم أقل الأخطار
قبلها ، ولقد شعر بخطر « البلشفية » شعوراً صحيحاً في غربى
العالم الاسلامى المؤمن المجاهد الغازى المرحوم أنور باشا
وزير حرب تركيا سابقاً الذى أسس جبهة قوية ضد
الشيوعيين بتنظيمه سكان تركستان . و قد وقعت عدة
اشتباكات بينه وبين البلشفيين في الفترة بين ١٩٢١م ١٩٢٢م
و في ٤ أغسطس ١٩٢٢ شن غارة بمقرية من قرية « شكن »

على كتيبة من القوات الروسية و كان عددهم كبيراً فاستشهد
في هذه الغارة أنور باشا رحمه الله ، صادف ذلك يوم الجمعة
٧ من شهر ذى الحجة ١٣٤٠ هـ على الأغلب (١)

هذه الثورة البلشفية لم تشمل دول آسيا المتوسطة
الخصبة التاريخية ذات السكان المسلمين ، و تركستان الروسية
والصينية وحدها و لم تهددها بالردة الفكرية والحضارية لحسب
بل جعلت أجيالها الصاعدة في مواجهة الردة الإيمانية
والمقائدية ، و أصبحت تعيد تاريخ الأندلس الذي حدث في
القرن التاسع ، بل الواقع أن الدول العربية و مركز الاسلام
فضلا عن شبه القارة الهندية أجبرت على مواجهة هذا الخطر
الكبير ، و قد بلغ الأمر ببعض الدول العربية إلى أنها
لم تكثف باستيراد السلاح و الصناعات الجديدة منها بل

(١) للاطلاع على تفاصيل دوافع أنور باشا الاسلامية
وخدماته الجليلة راجع مقالة الأمير شكيب أرسلان
الرائعة (الذي كان يعرفه معرفة شخصية) في حواشي
كتاب « حاضر العالم الاسلامي » .

استوردت فلسفتها و أيديولوجيتها ، و تحمست في حمايتها
و الدعوة إليها ،

و بالأمس القريب تم للسلطة الشيوعية
الغزو العسكري في أفغانستان التي كانت تعتبر معدن الشجاعة
الاسلامية والحمة الدينية ، و التي أتمخت الهند في كل عهد
باداريين أكفاء ، و حكام و قادة و علماء ربانيين ،
و كانت حصنها الخارجي وحارس حريتها الأمين ، و هكذا
وصلت هذه الفتنة العالمية إلى أبواب شبه القارة الهندية .



ومن خلال هذا الظلام الحالك الذي عم أواسط القرن
الرابع عشر الهجري حينما لم يكن يترامى بريق أمل في العالم
الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه بدت تبشير يقظة جديدة كما
صورها إقبال في شعره الذى معناه :

« جرى دم الحياة في شرايين الشرق الميتة ، إنه
لر لا يستطيع أن يدركه ابن سينا والفارابى ، والواقع أن
موجة الغرب الهائلة بعثت في المسلم حياة من جديد ، و من

تلاطم أمواج البحر ترتوى الدرر في الأصداف ، .
نشأ في العالم الاسلامى وعى سياسى بشكل بارز في
جانب و رخصت أعلام الحرية و الاستقلال ضد الاستعمار
الأجنبي في البلدان المتعددة ، مما أنتج استقلال مصر و الشام
(بجميع أجزائها) والعراق و ليبيا ، وتونس ، والجزائر
و المغرب ، و قامت في أفريقيا دول مملكة جديدة ،
و تحررت إندونيسيا و ماليزيا و تكونت مملكة باكستان
الاسلامية العظيمة ، و أسهم مسلمو الهند في حرب التحرير
و قدموا فيها تضحيات غالية كانت دليلا على وعيهم السياسى
و حُبهم للوطن ، حتى برزت على عارطة العالم السياسى أكثر
من ٤٥ دولة مسلمة مستقلة ، ٢٤ منها تتمتع بعضوية الأمم
المتحدة و تحقق أعلامها على مبنى الأمم المتحدة الشاخ ،
كما يتمتع المسلمون بوزن خاص في الأمم المتحدة ، و في
المشكلات و المذاكرات العالمية ، و في كفة ميزان العالم
السياسى أيضاً ، ولو أن هؤلاء المسلمين فضج وعيهم السياسى
و نشأ فيهم شعور بقوتهم السياسية و تمت لهم الوحدة ،

لاستطاعوا أن يكفوا ألواناً من الجور و الظلم ، و ساعدوا
كثيراً من الشعوب المضطهدة و الدول الضعيفة ، و لو أن الله
سبحانه رزقهم قادة مخلصين متعفين ، أو أكرم زعماء حكوماتهم
بالتوفيق و الهداية ، لاستطاعوا أن يؤسسوا دولة إسلامية
صحيحة في بلدانهم الاسلامية و مناطق نفوذهم ، و ينفذوا
النظام الشرعى و يطبقوا القوانين الشرعية ، و استطاعوا أن
يقيموا في حدود دولهم و أقطارهم مجتمعاً إسلامياً نموذجياً ،
و بيئة فاضلة خلقية و روحانية مطبقة لله و أحكامه ،
شاعرة بمسئوليتها و واجباتها ، لا يوجد لها أمثلة إلا
في صفحات التاريخ بمسافة قرون ، و قد قطع منها العالم أمله
بتأنيلاً حتى إن المسلمين أنفسهم أغفلوها و استغفروا عنها ، و هي
تكفى اليوم أيضاً لكى تتبه الفكر الانسانى و تجرب المعسكرين
الشرقى و الغربى على التفكير فى القضية جديداً ، و أن تمد
لنشر الاسلام طريقاً جديداً .

كذلك إذا عزم المسلمون على استعمال وزنهم و أهميتهم
السياسية فى حلها و شعروا بمسئولياتهم واجباتهم شعوراً كاملاً

لاستطاعوا أن ينقذوا تلك الانسانية التي يتحكم فيها المعسكران
الشرقي و الغربي كما يريدان ، و إنهم في الهند كذلك
لا يستطيعون أن يصونوا حقوقهم الملية فحسب بذكاتهم
و تضامهم و قوتهم الخلقية بل يتمكنون من منحها قيادة
خلقية و روحية مع إنقاذها من ذلك الدمار العام الذي
يمخطو إليها بخطوات حثيثة من أجل القلق السياسي المتزايد
و أزمة الأخلاق .

هذا و قد نشأت في العالم الاسلامي حركات ثورية
فكرية و إصلاحية على نطاق أوسع و أقوى يتمذر وجود
نظيرها في سعتها و قوتها في الأوس القريب ، و من مزايا
هذه الحركات الباعثة على الأمل أنها استطاعت التأثير في طبقة
المثقفين و أهل التفكير والعقل (Intellectuals) و توفير
مواد علمية واضحة جذابة لاقتناعها وإعادة ثقها بالاسلام في
جانب ، وفي جانب آخر فإن نطاقها يتخطى الحدود الجغرافية ،
و هي تغطي مساحة واسعة في العالم الاسلامي ، كما أن لها
جانبا لاما آخر يسترعى الانتباه و هو أن الشباب المثقف

لأول مرة في التاريخ لم يسجوا بها حسب بل إنهم تحمبوا
في الدعوة إليها و الانتصار لها أكثر من الشيوخ و من
يتقدمهم في السن .

و نستطيع أن نضرب لذلك مثلاً بحركة « الإخوان
المسلمون » الحركة الإسلامية الكبرى في مصر ، و الحركة
النورية في تركيا ، و حزب التحرير في الأردن و فلسطين ،
و حزب ماشوى في إندونيسيا ، و دعوة التبليغ العالمية في
شبه القارة الهندية و الجماعة الإسلامية فيها ، و لا يشترط
أن يوافق هذه الحركات أحد مائة في المائة إلا أنه مما لا يمكن
ججده أن لها من التأثير و السعة و القبول ما لا يستهان
بقيمته ، كما أن لشعر محمد إقبال القوى الباعث للروح
و الطموح (الذى يفوق في القوة و التأثير و الشمول بين
الأدب الإسلامى و شعره ، في القرون السابقة) سهماً
كبيراً في بعث الإيمان و الهمة و الابهاء بين الشباب المسلم
و الطليقة المثقفة .



و مع تقييم أساليب الدعوة و العمل الإسلامى الذى

تقوم به هذه المنظمات و الجماعات الاسلامية ، و تقدير جهودها ، لا مانع من الاشارة - و لو في غاية الاجمال - الى النقاط التالية التي يجب التركيز عليها في الاتفاضة الاسلامية الجديدة ، و صيانة المجتمع الاسلامي من الجاهلية التي يتطلبها القرن الخامس عشر الهجري في ضوء الواقع و تجارب الماضي .

١- تحريك الايمان في نفوس الشعوب والجمهير المسلمة و إثارة الشعور الديني فيها ، فان تمسك هذه الشعوب و الجماهير بالاسلام و تحمسها له ، هو السور القوي العالي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد ، و كثير من القيادات و حكومات العالم الاسلامي في حظيرة الاسلام ، و هي مادة الاسلام و رأس ماله ، و الخانات الكريمة التي تستخدم لاي غاية نبيلة ، و هي من أقوى المجموعات البشرية وأحسنها سلامة صدر و قوة عاطفة ، و إخلاص .

وذلك مع تحقيق الشروط ، و الصفات التي تستحق بها هذه الشعوب النصر من الله . و التغلب على المشكلات ،

و الانتصار على العدو ، لتصحيح العقيدة ، وإخلاص الدين لله ، و الابتعاد عن كل أنواع الشرك والعقائد الفاسدة ، و العادات الجاهلية ، و التقاليد غير الاسلامية ، و عن النفاق ، و التناقض بين العقائد و الحياة ، والقول والعمل ، وسير الأمم القديمة التي استحققت بها عذاب الله وخذلانه ، وكذلك سيرة الأمم المعاصرة التي نسبت الله ، فأنساها نفسها ، و قادت العالم إلى النار و الدمار .

هذا مع تنمية الوعي الصحيح و تربيته و الفهم للحقائق و القضايا ، و التمييز بين الصديق و العدو ، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر ، حتى لا تتكرر مآسى وقوع هذه الشعوب فريسة للثقافات الجاهلية ، والنعرات القومية ، أو العصبية اللغوية ، و الثقافية ، و لعبة القيادات الداهية و المؤامرات الأجنبية ، فتذهب ضحية سذاجتها و ضعفها في الوعي الديني و العقل الايماني .

٢- صيانة الحقائق الدينية و المفاهيم الاسلامية من التحريف و إخضاعها للتصورات العصرية الفريسية ، أو

المصطلحات السياسية و الاقتصادية و النجب عن تفسير
الاسلام تفسيراً سياسياً بحتاً ، و المغالاة في « تنظير الاسلام »
و وضعه على مستوى الفلسفات المعاصرة و النظم الانسانية ،
لأن هذه الحقائق الدينية . هو أساس الاسلام الدائم ،
و الأصل الذى منه البداية و إليه النهاية . و إليها كانت
دعوة الأنبياء ، و فى سبيلها كان جهادهم و جهودهم ، و بها
نزلت الصحف السماوية .

و الحذر من كل ما يقلل من قيمة الصلة بين الله و العبد
و الايمان بالآخرة و أهميتها و يضعف فى المسلم عاطفة
امثال أمر الله و طلب رضاه ، و الايمان و الاحتساب ،
و القرب عند الله تعالى ، و هذا التحول يفقد هذه الأمة
شخصيتها و قوتها ، و قيمتها عند الله ، و كذلك الحذر من
كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية ، و الشرك الجلى ،
و العادات و العبادات الجاهلية ، و الاكتفاء بمحاربة النظم
و التشريعات و الحكومات غير الاسلامية ، فان ذلك يتجه

بهذا الدين عن منهجه القديم السماوى إلى المنهج الجـديد

السياسى .

٣- تقوية الصلة الروحية والعاطفية بالنبي ﷺ ، والحب العميق له ، الذى يؤثره على النفس ، و الأهل ، و الولد ، كما جاء فى الحديث الصحيح ، و الايمان به كخاتم الرسل ، و إمام الكل ، و منير السبل ، و الحذر من كل العوامل و المؤثرات التى تسبب تخفيف منابع هذا الحب ، و إضعافه على الأقل ، و تحدث جفافاً فى الشعور ، و ضعفاً فى العمل بالسنة ، و تجرؤاً فى القول . و انصرافاً عن الافتخار به ، و الولوع بدراسة سيرته ، وكل ما يحرك هذا الحب ويفذيه ، و لعل البلاد العربية (بفعل أحداث ، و دعوات قومية) أخرج إلى العناية بهذه النقطة ، و أحق بها من غيرها ، فقبحا كانت البعثة المحمدية ، و فى لغتها نزل القرآن . و نطق الرسول .

٤- إعادة الثقة فى نفوس الطبقة المثقفة ، و من يديم القيادة الفكرية والتربوية ، و الاعلامية ، فى البلاد والحكومات

الاسلامية بصلاحية الاسلام وقدرته ، لا على مسامرة العصر
و تطوراته و تحقيق مطالبه ، بل على قيادة الركب البشرى
إلى الغاية المثلى ، و تجديف سفينة الحياة إلى بر السلام
و السعادة ، وإقناذ المجتمع البشرى من الانهيار والاعتحار ،
الذى تعرض لهما تحت القيادة الغريبة الخرقاء ، و أنه ليس
« بطارية » قد نفذت شحنتها أو ذبالة قد نفذ زيتها ، واحتقرت
فتيلاتها ، بل هو الرسالة العالمية الخالدة ، و سفينة النجاة التى
هى كسفينة نوح ، لا ينجو إلا من ركبها .

إن ضعف هذه الثقة ، أو فقدما هو داء هذه الطبقة
المثقفة الناشئة فى أحضان الثقافة الغربية ، أو تحت ضغطها ،
و هو المسؤول عن كل تصرفاتها و سبب الردة الفكرية ،
و الحضارية ، و التشريعية التى تكتسح العالم الاسلامى من
أقصاء إلى أقصاء ، وتعانى منه الشعوب المسلمة - التى لا تفهم
إلا لغة الايمان و القرآن ، و لا تتحمس إلا للاسلام -
و سبب حدوث هذا الخلل العميق ، الواسع بين القيادات
و الحكومات ، و الشعوب والجمهير ، وسبب القلق الذى

يساور النفوس ، و يستهلك القوى والطاقات في ما لا يعود
على الأمة و البلاد بفائدة .

هـ - قلب نظام التربية و التعليم المستورد من الغرب ،
المتشر السائد في العالم الاسلامى ، رأساً على عقب ، وصوغه
صوغاً إسلامياً جديداً ، يتفق مع شخصية هذه الشعوب
المسلمة ، و عقيدتها ، و رسالتها ، و قاننها ، و قيمتها ،
لا يبعد هذا الصوغ عنه عناصر الاحاد أو المادية ، وتصور
هذا الكون تصوراً مادياً ، والطوم وحدث متناثرة متناقضة ،
والطبيعة حرة قاهرة ، والتاريخ حوادث غير مرتبطة خاضعة
لقلق و صراع دائمين ، وهكذا ، ولا يصلحه إصلاحاً جزئياً ،
لحسب بل يبتكر ابتكاراً جذرياً ، مهما استفد من الطاقات ،
و كلف من الوسائل و النبوغ و العبقریات ، و بغير ذلك
لا يقوم العالم الاسلامى على قدميه ، و برأسه ، و عقله ،
و إرادته و تفكيره ، و لا تدار الحكومات ، و الاجهزة
الادارية ، والمراقق العامة برجال مؤمنين أقوياء أماء مخلصين ،
يطبقون التعاليم الاسلامية في الحكومة و الادارة ، و التربية

والاعلام ، والمجتمع ، فتمثل الحياة الاسلامية بجمالها وكمالها ،
وينشأ المجتمع الاسلامى بسماته وخصائصه .

٦- حركة علمية قوية دولية ، تعرف الطبقة المثقفة الجديدة ،
بذخائر الاسلام العلمية وتراثه المجيد ، وتنفض في العلوم الاسلامية
روحاً من جديد ، و تثبت على العالم المتمدن ، أن الفقه
الاسلامى و قانونه من أرقى القوانين و أوسعها في العالم ،
و هو يقوم على أساس من المبادئ الخالدة التى لن تملى
ولن تفقد صلاحيتها في يوم من الأيام ، وهى تصلح لمسيرة
الحياة الانسانية في كل زمان ومكان ، وتغنيها عن كل قانون
وضعه أبداً الناس .

٧- الحضارة عميقة الجذور في أعماق النفس الانسانية ،
وفى مشاعر الأمة ، وأحاسيسها ، وتجريد أمة عن حضارتها
الخاصة — التى نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها ،
وكان في صياغتها نصيب كبير للذوق الدينى الخاص ، وطابع
هذه الأمة الخاص — مرادف لمرادها عن الحياة ، وتحديد ما
في إطار العقيدة و العبادة ، و الطقوس الدينية الضيق ،

و فصل حاضرها عن ماضيها ، فلا بد للحكومات الاسلامية ،
والمجتمعات الاسلامية من التخطيط المدنى الاسلامى المستقل ،
البعيد عن تقليد الغرب الاعى ، و الارتجالية ، و مركب
النقص ، و لا بد من تمثيل الحضارة الاسلامية فى عواصمها ،
و فى دوائرها ، و فى بيوتها ، و فى مجتمعاتها ، و فى فنادقها
و منزهاتها ، و الى حد فى مكاتبها و طائراتها ، و سفاراتها ، و بذلك
لا يعرض العالم الاسلامى نموذجاً للحياة الاسلامية ، و المثل
الاسلامية لحسب ، بل يقوم بدعوة صامته للاسلام .

٨- معاملة الحضارة الغربية - بعلومها و نظرياتها و اكتشافاتها
و طاقاتها - كمواد خام يصوغ منها قادة الفكر ، و ولاية
الامور فى العالم الاسلامى ، حضارة قوية ، عصرية ، مؤسسة
على الايمان و الاخلاق و التقوى ، و الرحمة ، و العدل فى
جانب ، و على القوة و الانتاج ، و الرفاهية ، و حب الابتكار
فى بجانب آخر ، يأخذون من علوم الغرب ما تفتقر اليه
أمتهم ، و بلادهم ، و ما ينفع عملياً ، و ما ليس عليه طابع
غرب و شرق ، و يستغنون عن غيره ، و يعاملون الغرب

كزميل وقرين، إن كان في حاجة إلى أن يتعلوا منه كثيراً ،
فهو في حاجة إلى أن يتعلم منهم كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه
الغرب منهم أفضل مما يتعلمونه هم من الغرب .

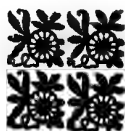
٩- إقناع الحكومات - في بعض البلاد الاسلامية التي مثلت
دوراً رائداً في تاريخ الدعوة والحضارة الاسلامي - المشغولة
بمحرب إبادة للعنصر الاسلامي ، أو عملية « تطوير الاسلام » ،
وتفسيره وفق مصالحها السياسية ، أو أهواء قادتها الشخصية ،
بأنها سياسة عقيمة لم تنجح في بلد إسلامي ، و إقناعها
بتوجيه طاقاتها وإمكاناتها إلى عدو مشترك ، وإلى ما يقوى
البلاد و الأمة .

و إقناع الحكومات المسلمة - المسالمة للإسلام -
بضرورة تطبيق الشريعة الاسلامية ، وتهيئة الجو المناسب ،
المساعد على ذلك ، وما يستتبع هذا الأمر من سعادة وبركة
ونصر من الله ، وسعى لتكوين قيادة موحدة تقوم على مبدأ
الشورى الاسلامي ، والتعاون على البر والتقوى - والشعور
بالتقصير على الأقل - بعدم وجود الامامة العامة ، أو الخلافة

الثناء والاحلال ، ويقلده الزعامة الحقيقية في العالم الاسلامى ،
و العبقرية و العصامية في التاريخ الاسلامى .
د إن الحضارة الغربية أشرفت على الانهار ، وأذنت
بالأفول و الزوال ، إنها لا تعيش ولا تواصل سيرها بمجرد
قوتها الذاتية ، و جدارتها للحياة و البقاء بل لأنها ليست
في هذا المجال - من تعاسة الحظ - حضارة تحمل محلها وتسد
فراغها ، إن جميع الحضارات المعاصرة والقيادات الحديثة اليوم
لا تعدو نوعين ، إما هى مقلدة جامدة و صورة شاهدة
للحضارة الغربية ، وإما هى ضعيفة هزيلة ، مريضة سقيمة ،
منسحبة منهزمة ، لا تستطيع أن تواجه هذه الحضارة أو تقف
معها جنباً إلى جنب ، فإذا قامت هذه الدول الاسلامية ،
و العالم الاسلامى بصورة عامة لسد هذا الفراغ الذى
سيحدث بعد نهاية هذه الحضارة و انسحابها عن مسرح
القيادة رد إليه منصب قيادة الجنس البشرى ، و توجيه
الشعوب المعاصرة مرة ثانية ، المنصب الذى لايفوض إلا
إلى أمة فنية قوية آية تحمل كل عناصر البقاء و الاستمرار

و التقدم و الازدهار ا سنة الله فى الأرض ، و لن تجد
لسنة الله تبديلا .

فليُنظر هؤلاء القادة و الحكام ما هو أولى لهم وأجدر
بشأنهم ؟ التمسك بأذيال الغرب والوقوف على باب كالشعاذين ،
أم منصب قيادة الانسانية ، و هداية الشعوب الضالة التى
لا كرامة - بعد النبوة - مثل هذه الكرامة ؟ ذلك المنصب
العالى السامى الذى تتلاشى عنده جميع هذه الألقاب
و الشارات ، و الشعارات و الهتافات و المناصب الرفيعة ،
و الحياة الناعمة المريحة و الاغراءات المادية الجنسية ، إنها
سلعة غالية لا يخرس بها المشتري ، ولو ضحى بنفسه مائة مرة ،



لتفصيل الاجمال الذى جاء فى هذه الرسالة و إيضاح
الاشارات التى وردت فى هذا الكتب اقرأوا ما يلى :

١- الدعوة إلى الله :

[حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف]

الناشر : المجمع الاسلامى العلمى ندوة العلماء لكتبو

٢- أهمية الحضارة فى تاريخ الديانات و حياة أصحابها

الناشر : المجمع الاسلامى العلمى ندوة العلماء لكتبو

٣- نحو التربية الاسلامية الحرة فى الاقطار الاسلامية

الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت

٤- الطريق إلى المدينة — الناشر : دار القلم بيروت

٥- الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية فى الآتمار
الاسلامية

الناشر : دار القلم الكويتية

٦- رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ج ١

الناشر : دار القلم الكويتية

٧- منهج أفضل فى الدعوة والاصلاح للدعاة و العلماء

الناشر : المجمع الاسلامى العلمى ندوة العلماء لكتبو

و كلها تؤولف

صدر حديثاً للمؤلف :

روائع من أدب الدعوة في القرآن و السيرة

محاضرات في مناهج الدعوة و آدابها
ألقيت في المعهد العالي للدعوة والفكر الاسلامي
التابع لجامعة دارالعلوم ندوة العلماء لكتنؤ (الهند)

ملنزم النشر و التوزيع
المعهد العالي للدعوة و الفكر الاسلامي

يطلب من
المجمع الاسلامي العلمي
ص . ب ١١٩ لكتنؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

المكتبة الامدادية

باب العمرة - مكة المكرمة

يوجد بها جميع أنواع المصاحف الشريفة وترجماتها باللغات الانجليزية والاردوية والفرنسية وغيرها ، وكتب التفسير والحديث الشريف وخاصة كتب التراث عامة ، وكذا الكتب الدينية باللغات الانجليزية والاردوية والفرنسية وبالحصوص مؤلفات العلامة الكبير والمحدث الجليل ساحة الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي والكتائب الاسلامي الشهير الداعية الكبير ساحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي ومؤلفات علماء الهند والباكستان الأفاضل كما أن المكتبة تهتم بنشر الكتب الدينية والاصلاحية عامة ولاسيما كتب التراث الاسلامي النادرة ابتغاء رضوان الله بنشر العلم النافع وقد نشرت حديثا الكتب الآتية :-

١- لامع الدراري على صحيح البخاري في عشر مجلدات :
من أمالي الامام الكبير والقطب الشهير المحدث الفقيه الشيخ رشيد احمد الكنكوهي قدس الله روحه - حررها من درسه العلامة الكبير المحدث الشيخ محمد يحيى الصديقي الكاندهلوي وعلق عليها تعليقات نفيسة قيمة ساحة العلامة الجليل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي متع الله المسلمين بعلمه .

٢- بذل الجهود في حل ابي داود في عشرين مجلدا :
شرح واف بديع لسنن أبي داود للامام المحدث الفقيه النظار حامي السنة وقامع البدعة الشيخ خليل أحمد السهاري

مع تعليقات مختصرة للعلامة الشهير سماحة الشيخ محمد زكريا
الكاندهلوي حفظه الله بالخيرات .

٣- أوجز المسالك الى موطأ مالك في خمسة عشر مجلداً ضخماً :
شرح حافل بالنفائس العلمية والمباحث اللطيفة والتحقيقات
المعجبة لكتاب السنة الأول موطأ امام دار الهجرة مالك رحمه الله
للإمام الشهير والعلامة النحرير بقية السلف سماحة الشيخ
محمد زكريا الكاندهلوي نفع الله المسلمين بعلومه .

٤- الكوكب الدري على جامع الترمذي :
من أمالي الإمام الكبير المحدث الفقيه الشيخ رشيد أحمد
الكنكوهي .

و عليها تعليقات بسيطة بديعة للعلامة الشيخ محمد زكريا
الكاندهلوي .

٥- حجة الوداع :
لساحة العلامة الكبير المحدث البارع الشيخ محمد زكريا
الكاندهلوي .

و هو من روائع الشيخ يظهر منه قوة باعه في هذا العلم
الشريف وحبه العميق للديار المقدسة .
هذه النفائس وغيرها اطلبها من :

المكتبة الامدادية

باب العمرة - مكة المكرمة